

فضائل الأمة الإسلامية

تأليف

أبـــو أنـــس

صلاح الدين محمود السعيد

مكتبة الإيمان بالمنصورة

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٧م

مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع

المنصورة ـ أمام جامعة الأزهر

تليفون: ٣٥٧٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧١، ٧٢].

أما بعد

فإن أصدق الحديث كلام الله وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

عباد الله: إن لدين الإسلام محاسن كثيرة وفضائل جمة تحمل ذوى القلوب السليمة والعقول الصحيحة على التمسك والتحلى بآدابه، وكلما كان المرء سليم العقل نير البصيرة اشتد تعلقه به لما فيه من جمل المحاسن وجليل الفضائل.

ذلكم هو دين الإسلام الذى أخرج من العرب الأميين المتوحشين أمة شديدة البأس عظيمة القوة واسعة السلطان، فأبدلهم بالخوف أمنا وبالجهل علما وبالعداوة محبة وبالتفرق وحدة وبالتوحش والهمجية مدنية وحضارة.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[1] .

(١) آل عمران: (١٠٣).

دين أنجب من العلماء والعظماء ما لم ينجبه دين من الأديان، أنجب مثل أبى بكر فى وقاره وحلمه، وعمر فى عدله وغيرته، وعثمان فى نسكه وإخلاصه، وعلى فى شجاعته وحكمته، دين يكيد له حساده من يوم ظهر وهو كما ترونه لم يطفأ له نور ولم يضعف له برهان: ﴿ **يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾[1].

ومحاسن الدين كثيرة وعظيمة وبعون الله عز وجل سأذكر فى هذا الكتاب ما يسره الله لى فى ذكر فضل وشرف الأمة الإسلامية حتى إذا تبين لنا ذلك اعتصمنا بحبل الله المتين وحرصنا على العمل بأحكامه والتحلى بآدابه حتى نصل إلى ما وصل إليه السلف الصالح لهذه الأمة من عزة وقوة ونصر وفلاح ورقى وسعادة فنفتخر ونعتز بديننا وأسأل الله عز وجل التوفيق والسداد.

إلهى لا تعذبنى فإنى مقر ... بالذى قد كان منى
فمالى حيلة إلا رجائى ... بعفوك إن عفوت وحسن ظنى
فكم من ذلة لى فى الخطايا ... عضضت أناملى وقرعت سنى
يظن الناسُ بى خيراً وإنى ... لشر الخلق إن لم تعفو عنى
إلهى أنت ذو فضل ومن ... وإنى ذو خطايا فاعفو عنى
وظنى فيك يارب جميل ... فحقق يا إلهى حسن ظنى

اللهم يا ولىَ الإسلام وأهله مسّكنا بالإسلام حتى نلقاك عليه..

*****

---

(١) التوبة: (٣٢).

حقيقة الإسلام

الإسلام لغة: الانقياد والطاعة.

الإسلام شرعا: هو الاستسلام والانقياد والطاعة لله عز وجل.

يقول الله عز وجل حاكيا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] فهذه هى ملة إبراهيم الإسلام الخالص الصريح لا يرغب عنها وينصرف إلا ظالم لنفسه سفيه عليها مستهتر بها.

إبراهيم الذى اصطفاه ربه فى الدنيا إماما وشاهدا له فى الآخرة بالصلاح اصطفاه عندما استسلم ولم يتلكأ ولم ينحرف واستجاب فور تلقى الأمر من الله عز وجل.

إن دين الله واحد جاءت به الرسل جميعا وتعاقدت عليه الرسل جميعا بدأ من نوح عليه السلام فقد جاء بالإسلام كما قال الله عز وجل: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنظِرُونِ . فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[2].

وجاء إبراهيم عليه السلام بالإسلام.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ . وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ

---

(١) البقرة: (١٣١).

(٢) يونس: (٧١، ٧٢).

لَمِنَ الصَّالِحِينَ. إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

وجاء يعقوب عليه السلام بالإسلام.

قال تعالى ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾[2].

وجاء لوط عليه السلام بالإسلام.

قال الله عز وجل: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ. قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ. لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ. مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ. فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾[3].

وجاء يوسف عليه السلام بالإسلام.

قال الله عز وجل: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾[4].

وجاء موسى عليه السلام بالإسلام.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[5].

وما دخل السحرة بعد هداية الله لهم إلا فى الإسلام. قال تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ. قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ. قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ

(١) البقرة: (١٢٧ ـ ١٣٢). (٢) البقرة: (١٣٣). (٣) الذاريات: (٣١ ـ ٣٦).
(٤) يوسف: (١٠١). (٥) يونس: (٨٤).

رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ . وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[1].

وجاء سليمان عليه السلام بالإسلام.

قال الله تعالى: ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ . أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[2].

ودخلت بلقيس بعد أن آمنت بالإسلام.

قال تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3].

وجاء عيسى عليه السلام بالإسلام.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[4].

بل والإسلام أيضا هو دين المؤمنين من الجن.

قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا .وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾[5].

ثم جاء لبنة تمامهم ومسك ختامهم وإمامهم محمد ﷺ بالإسلام، وخاطبه ربه جل وعلا بقوله: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾[6].

وبقوله سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[7] فكان يقول: «نحن معشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد»[8].

---

(1) الأعراف: (١٢٠ - ١٢٦).

(2) النمل: (٢٩ - ٣١).

(3) النمل: (٤٤).

(4) آل عمران: (٥٢).

(5) الجن: (١٤، ١٥).

(6) آل عمران: (١٩).

(7) المائدة: (٣).

(8) متفق عليه: البخارى فى أحاديث الأنبياء (٣٤٤٣) ومسلم فى الفضائل (٢٣٦٥/١٤٥).

وعلى هذا فالأنبياء جميعا وهم أصحاب الرسالات السماوية كلهم مسلمون، والإسلام دعوتهم وهم منقادون إلى ربهم داعون بدعوته فهم الداعون إلى الله بإذنه وهم المبلغون عن الله فلم يقل واحد منهم أنه أتى بشيء من عنده أو أنه شرع من ذات نفسه بل أكد كل واحد منهم لقومه أنه رسول من رب العالمين. يدعون بدين الإسلام وإن اختلفوا فى التشريع: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(١). وقد أخذ الله عليهم العهد أن يتكاملوا ويتعاونوا ويتشاركوا جميعا فى إبلاغ الدعوة بما يؤتيهم الله من كتاب وحكمة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾(٢).

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾(٣).

فيكمل اللاحق منكم السابق ويمهد السابق للاحق حتى أتم الله نعمته وأظهر حكمته بتمام الدعوة على يد الداعى الكريم خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ ومن أجل ذلك قامت شريعة الإسلام على دعامتين:

[١] أن الرسالات السابقة عليها كلها دعوة إلهية واحدة فى صور متعددة متجددة على مر الأزمان.

[٢] أن دعوة الإسلام خاتمة فى تتابع هذه الرسالات وأنها هى المكملة لهذه الدعوات فى صلبها ومعناها وقمتها ومنتهى سيرها فعندها وقف إنزال الكتب وإرسال الرسل فرسولها خاتم النبيين فلم يكن بدعا منهم بل هو آخرهم وأفضلهم: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(٤) وكتابها هو رسالة السماء الأخيرة نسخت الرسالات السابقة فما بقى صحيحا منها فقد انطوى فيه لأنه قمة التشريع ونهاية القوانين السماوية ومن حرّف بعضه صوبه ذلك الكتاب وما كانت الحاجة ماسة إليه فى نظام الكون

---

(١) المائدة: (٤٨).
(٢) آل عمران: (٨١).
(٣) الشورى: (١٣).
(٤) الأحزاب: (٤٠).

ومراحل الإنسانية وبناء الإنسان، فقد شمله بدعوته ودعا إليه فى رسالته وعلى ما تقدم أيضا ينفرد الإسلام.

أولا: بأنه هو والرسالات السابقة كلها كما ونوعاً وذكراً فكان فى آياته وضمن تعاليمه أنه ذكرهم بأسمائهم وصفاتهم وأقوامهم وبان رسالة كل منهم وكيف عالجها ذلك الرسول كما أوحى إليه وما لاقوه جميعا من أقوامهم وأنواع الهلكة التى أهلك الله بها أقوامهم حين عصوهم وخالفوا ما أتوا به من الرسالات التى بلغوها إليهم بصدق وأمانة.

ثانيا: رسالته بدأت بنزول القرآن على النبى ﷺ بواسطة أمين العصر جبريل فى غار حراء وهو يتعبد على ملة أبيه إبراهيم.. قال تعالى: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** .﴾[1]. وأنبأه جبريل بأنه نبى الله فأعلمه بالرسالة فعلم بها وأصبح نبياً.

ثالثاً: رسالته جاءت بتعاليم القرآن الكريم واستمرت فى نزولها حتى كملت وكملت الأديان السابقة عليها فى آخر آية من ذلك القرآن الكريم فلا وحى بعد القرآن ولا تعاليم جديدة بعد انتهاء نزوله.

وعلى ذلك نستطيع القول بأن الدين الإسلامى كشريعة وكرسالة هو القرآن الكريم وما أوحى إلى النبى ﷺ من السنة على حسب تعاليم ذلك الكتاب، المبين بياناً وتفصيلاً وشرحاً وتعليماً وبمقتضى ذلك إذا قلنا الدين الإسلامى فإنما نعنى الرسالات كلها مضافا إليها رسالة القرآن وما أوحى إلى النبى ﷺ تقنيناً وتشريعاً وبياناً وتفصيلاً وإقراراً وتصحيحاً لما حُرف فى الرسالات السابقة وفى الكتب قبله وما أضيف إلى تلك الرسالات حتى أصبحت الشريعة إسلاماً فى وضعها العام وهو بذلك الدين كله عند الله: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ**﴾[2] وأصبح الإسلام شريعة وملة وديناً شاملاً لما قبله من الرسالات وأصبح على ذلك خاتم الرسالات ورسوله خاتم الأنبياء والمرسلين.

أبى الإسلام لا أب لى سواه   إن تفاخروا بقيس أو تميم

(١) العلق: (١ ـ ٥).

(٢) آل عمران: (١٩).

لما كان الإسلام هو دين الأنبياء بدأ من نوح عليه السلام ونهاية بحوارى عيسى فهو دين للزمان كله ودين للمكان كله حين ذاك أمر الله عز وجل النبى ﷺ أن يقول: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾[1] فهذا الإسلام هو عز المؤمن وشرفه ورفعته وعلوه وسموه لأن الله ما ارتضى لخلقه إلا هذا الدين بل إن الله أغلق جميع الأبواب أمام جميع الخلق إلا باب الإسلام: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾[2]. وأمر النبى ﷺ على بن أبى طالب عند نزول سورة براءة أن ينادى فى الناس فى موسم الحج: «**لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ولا يطوف بالبيت عريان ولا يجتمع المسلمون والمشركون فى المسجد الحرام بعد عامهم هذا ومن كان بينه وبين النبى عهد فعهده إلى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر**»[3] وقول الله عز وجل: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾[4].

إن سلف هذه الأمة اعتزوا بهذا الدين فنالوا علواً وشرفاً فى الدنيا وأيضا فى الآخرة، ما افتخروا بالأحساب ولا بالأنساب ولا بالآباء ولا بالقبائل ولا بالجنس ولا بالحضارة وإنما كان شعارهم قول سلمان الفارسى:

أبى الإسلام لا أب لى سواه — إن تفاخروا بقيس أو تميم

ووضعوا نصب أعينهم حديث النبى ﷺ: «**إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقى وفاخر شقى، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدفع بأنفها النتن**»[5] وحديث النبى ﷺ: «**انتسب رجلان على عهد موسى فقال أحدهما أنا فلان ابن فلان حتى عد تسعة فمن أنت لا أم لك. قال أنا فلان ابن فلان ابن الإسلام فأوحى الله إلى موسى أن قل لهذين المنتسبين أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة فى النار فأنت عاشرهم فى النار وأما أنت أيها المنتسب إلى**

---

(١) الأعراف: (١٥٨). (٢) آل عمران: (١٩).

(٣) إسناده صحيح: أحمد (١/ ٣) والترمذى فى الحج (٨٧١) وروى بعضه: البخارى فى الصلاة (٣٦٩) وفى الحج (١٦٢٢) وفى المغازى (٤٣٦٣) وفى التفسير (٤٦٥٥) ومسلم فى الحج (١٣٤٧/ ٤٣٥).

(٤) آل عمران: (٨٥).

(٥) إسناده صحيح: أحمد (٢/ ٣٦١، ٥٢٤) وأبو داود فى الأدب (٥١١٦) والترمذى فى المناقب (٣٩٥٥، ٣٩٥٦).

اثنين فى الجنة فأنت ثالثهما فى الجنة»[1].

لذلك كان أحدهم يعتز بدينه ويفخر به أيما اعتزاز وافتخار، فقد روى الحاكم فى المستدرك عن حكيم بن حزام قال: «كنت مشركا فى الجاهلية وكنت صديقاً للنبى ﷺ وكان من أحب الناس إلىَّ قال: فلما ظهر الإسلام وهاجر النبى إلى المدينة اشتريت له حلة لذى يزن اشتريتها من الموسم بخمسين دينار وذهبت إلى المدينة فقابلنى النبى ﷺ فأعطيتها إياه فقال: «**إنا لا نقبل هدية من مشرك ولكن بالثمن**» فاشتراها النبى ﷺ فصعد بها على المنبر فما رأيت حلة على رجل أبهى منها على رسول الله ﷺ فنزل من على المنبر فأعطاها لأسامة بن زيد. قال فتعجبت وذهبت لأسامة وقلت: أسامة بن زيد يلبس حلة ذى يزن فنظر إلىّ أسامة شامخ الرأس وقال: والله الذى لا إله إلا هو إنى لأفضل من ذى يزن وأمى أفضل من أمه»[2].

فمن هذا المنطلق كان سلف الأمة يعتزون بإسلامهم ويفتخرون به. إن الحسب والنسب لا ينفع عند الله عز وجل لأن المقياس والميزان يوم القيامة بقدر الانتساب لهذا الدين. يقول الله عز وجل: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[3].

فكان الرجل يخرج من جاهلية الشرك فيدخل فى الإسلام فيرفع رأسه عاليا شامخا ويصرخ وينادى:

هجرت اللات والعزى جميعا	كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا العزى أدين ولا ابنتيها	ولا صنمى بنى عمرو أزور
ولكن أعبد الرحمن ربى	كذلك يفعل الجلد الصبور

وكان النبى ﷺ يغرس فى الصحابة هذا العز وهذا الفخر، فعندما قدم عائذ ابن عمرو وأبو سفيان فى عام الفتح، قال الصحابة: قدم أبو سفيان وعائذ بن عمرو فقال النبى ﷺ: «**لا تقولوا هكذا بل قدم عائذ بن عمرو وأبو سفيان،**

---

(١) إسناده صحيح: أحمد (٥/١٢٨، ٢٤١).

(٢) إسناده صحيح: الحاكم (٣/٤٨٥) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) الحجرات: (١٣).

الإسلام أعز من ذلك، الإسلام يَعلو ولا يُعلى»[1].

فكان الصحابة يخرجون إلى البلدان لمحاربة الشرك والوثنية وهم عالى الهمة فهذه قصة عبد الله بن حذافة السهمى:

وتبدأ القصة فى السنة التاسعة عشرة للهجرة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما أرسل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جيشا للقاء الروم على مشارف قيسارية وكان من بينهم عبد الله بن حذافة رضى الله عنه فتكاثرت من حول عبدالله بن حذافة صناديد الروم فوقع فى أيديهم أسيراً، وأخذوه إلى معسكرهم وعلم بذلك ملك الروم وقد كان علم مكانة عبد الله بن حذافة بين المسلمين فأمر به فأحضر بين يديه فقال له ملك الروم: يا عبد الله بن حذافة هل لك أن تتنصر وأطلق سراحك؟ قال: لا الموت أحب إلىَّ من ذلك، فقال الملك: تنصر وأقربك منى وأزوجك ابنتى وأعطيك نصف مالى وتشاركنى فى سلطانى؟ قال: لا ولو أعطيتنى جميع مالك ومال العرب والعجم.

فأمر به الملك فصلب وأمر أحد الرماة المهرة فرماه بسهمين أحاطا برأسه يمينا وشمالا ثم اقترب الملك منه وقال له: هل تجيبنى إلى ما أدعوك إليه فتنجو؟ فقال عبد الله: لا.

فأمر الملك بقدر كبير يغلى فيه الماء حتى فور ثم أمر بأسيرين من أسرى المسلمين فأتى بهما فأمر بأحدهما أن يقذف فى القدر فانفصل لحمه عن عظمه، ثم التفت إلى عبد الله وقال: هل تجيبنى إلى ما أدعوك إليه؟ قال: لا: فأمر الملك الجنود أن يقذفوه فى القدر. فاقتادوه فبكى ففرح ملك الروم وظن أن عبد الله قد خاف من الموت فصاح فى الجنود: أوقفوه وردوه علىَّ. فلما وقف بين يديه قال له: هل تجيبنى إلى ما عرضته عليك؟ قال عبد الله: لا فغضب الملك وقال: إذن لماذا بكيت؟ قال: بكيت لأنى تذكرت أن لى نفسا واحدة أموت بها فى سبيل الله وكنت أتمنى أن يكون لى مائة نفس حتى أقتل فى سبيل الله وأحيا وأقتل وأحيا

(١) القصة عزاها ابن حجر فى فتح الباري في الجنائز (٣/ ٢٦١) وقال: رويناه فى فوائد أبى يعلى الخليلى ولفظ: «الإسلام يعلو ولا يعلى» رواه البخارى تعليقا فى الجنائز باب (٧٩) (فتح البارى ٣/ ٢٥٨) والدارقطنى فى النكاح (٣٥٧٨) والسيوطى فى الجامع الصغير (٣٠٦٣) وعزاه للرويانى وأيضا المقدسى وقال السيوطى: حسن.

حتى تنتهى فى سبيل الله.

فقال الملك لما يئس: أتُقبل رأسى وأطلق سراحك؟

قال عبد الله بن حذافة: أقبل رأسك بشرط أن تطلق سراحى وسراح جميع أسرى المسلمين! فقال الملك: نعم فقبل عبد الله بن حذافة رأسه فأطلق سراحه وجميع أسرى المسلمين.

وأتى عبد الله بن حذافة ومعه جميع الأسرى الذين أطلق سراحهم من المسلمين إلى المدينة واستقبلهم عمر وأصحابه فحكى لهم عبد الله خبره ففرح بذلك أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ووقف وقبل رأس عبد الله بن حذافة ثم قال: حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة[1].

ولذلك أنهم لما اعتزوا بدينهم وأحبوه رفعهم الله عز وجل وحينما تمسكوا بدين الله جعلهم الله سادة وجعلهم خير أمة، فيذكر لنا التاريخ أن عبد الرحمن بن الداخل فى عهده جفت السماء وجدبت الأرض وقل الخير فأرسل إلى القاضى وقال له: اخرج وصل بالناس صلاة الاستسقاء فخرج القاضى وصلى، ولم ينزل الماء فأرسل له مرة ثانية أن اخرج وصلى بالناس، فخرج وصلى ولم ينزل المطر، ثم أرسل إليه فى الثالثة فغضب القاضى وقال: ما هذا الخليفة بين الحين والآخر يأمرنى أن أخرج فأصلى بالناس وهو جالس فى لعبه وعبثه ثم أرسل إليه الحاجب فإذا بعبد الرحمن بن الداخل قد خرج من قصره إلى بستان حديقته وعفر جبهته فى التراب وهو يستذل لله عز وجل ويقول: يا رب يا مالك الملك لا تعذب الخلق من أجلى، عُبيدك الضعيف الذليل عبد الرحمن بن الداخل بين يديك فارحمه وارحم العباد فرجع الحاجب عندما رأى ذلك المنظر وأخبر القاضى بما حدث فقال فليخرج الناس جميعا لصلاة الاستسقاء فخرجوا فنزل المطر من السماء. فقال القاضى إذا خضع جبار الأرض رحم جبار السماء.

كان الفضل بن عياض يفتخر بإسلامه وعبوديته فكان يقول: -

ومما زادنى شرفا وتيها	وكدت بأخمصى أطأ الثريا
دخولى تحت قولك يا عبادى	وأن سيرت أحمد لى نبيا

وصدق الله إذ يقول ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[2].

---

(١) كنز العمال (٧/ ٦٢). (٢) فاطر: (١٠).

وقوله ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

ومن عجيب ما نسمع ونرى فى أيامنا هذه أن فرنسا أصدرت قانونا يحرم ويجرم التحدث بما نشرته فى صحف حوت ثلاثة آلاف كلمة غير فرنسة فاعتزوا بلغتهم حتى أنهم حرموا التحدث بغير اللغة الفرنسية وأيضا أصدرت اليابان قانونا يحرم على المدرس أن يعنف التلميذ بوصف الغباء أو الفشل وقالوا أن هذا الكلام لا ينبغى أن يوجه إلى العقل اليابانى فاعتزوا بعقولهم.

ثم نرى على الجانب الآخر أن المسلمين أصحاب الدين القويم تركوا ما فيه عزهم وراحوا ينتسبون ويفتخرون بأشياء لا قيمة لها بل وجدنا بعض الناس عند المعاملة بالدينار والدرهم يقول أنا معاملتى انجليزى ولا يقول أنا معاملتى مسلم وذهب كثير من الناس إلى الاعتزاز والفخر بحسب أو نسب أو جنسية أو لون أو حضارة أو بقربهم من المشركين والكفار، والله سبحانه تعالى يقول: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا . الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[2] .

وصدق عمر بن الخطاب إذ يقول فى كلمة خالدة حفظها لنا التاريخ على مر العصور: «لقد كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة فى غيره أذلنا الله»[3] من هنا أحرى بالمسلم وأجدر أن يتمسك بدينه وأن يعتز به وأن يحرص على العمل به حتى ينال العلو والرفعة فى الدنيا والنجاة يوم القيامة.

---

(١) المنافقون: (٨). (٢) النساء: (١٣٨، ١٣٩).
(٣) الحاكم (١/ ٦٢) وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبى.

الفضيلة الأولى

رفع الإصر عن الأمة

يقول الله عز وجل: ـ ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ﴾[١].

يقول ابن كثير: أى أنه جاء بالتيسير والسماحة كما قال النبى ﷺ: «**بعثت بالحنيفية السمحة**»[٢].

قال أبو برزة الأسلمى: إنى صحبت رسول الله ﷺ وشاهدت تيسيره وقد كانت الأمم التى قبلها فى شرائعهم ضيق عليهم فوسع الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم[٣] ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تجاوز لأمتى ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل**»[٤].

وقال: «**رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[٥].

ولهذا أرشد الله هذه الأمة أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٦] .

وفى صحيح مسلم أن الله تعالى بعد كل سؤال من هذه يقول قد فعلت قد فعلت[٧].

---

(١) الأعراف: (١٥٧).

(٢) أحمد (٥/ ٢٦٦) والخطيب البغدادى كما فى الجامع الصغير للسيوطى(٣١٥٠)وقال السيوطى :ضعيف.

(٣) ابن كثير فى التفسير (٣/ ٢٩٩) ط. مكتبة الإيمان. المنصورة.

(٤) البخارى فى العتق (٢٥٢٨) وفى الطلاق (٥٢٦٩) وفى الأيمان (٦٦٦٤) ومسلم فى الإيمان (١٢٧/ ٢٠١، ٢٠٢).

(٥) الطبرانى كما فى الجامع الصغير (٤٤٦١) انظر كشف الخفاء (١٣٩٣).

(٦) البقرة: (٢٨٦).

(٧) مسلم فى الإيمان (١٢٦/ ٢٠٠).

يقول عبد الرحمن السعدى وقوله: **﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾** هذا التزام من المؤمنين عام لجميع ما جاء به النبى ﷺ من السنة وأنهم يسمعون سماع قبول وإذعان وانقياد وهذه الدعوات مقبولة من جميع المؤمنين قطعا ومن أفرادهم إذا لم يمنع من ذلك مانع فى الأفراد وذلك أن الله رفع عنهم المؤاخذة فى الخطأ والنسيان وأن الله سهل عليهم شرعه غاية التسهيل ولم يحملهم من المشاق والأغلال ما حمله على من كان قبلهم ولم يحملهم فوق طاقاتهم وقد غفر لهم ورحمهم ونصرهم على القوم الكافرين.

وهو دعاء ينبعث من وراثة الأمة المسلمة لتراث الرسالة كله ومعرفته كما علمهم ربهم فى هذا القرآن بما كان من سلوك الأمم التى جاءتها الرسالات قبلهم، فقد حرم على بنى إسرائيل بعض الطيبات بعملهم وفى آية الأنعام: **﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ﴾**(1) وكتب عليهم قتل أنفسهم تكفيرا عن عبادتهم للعجل وحرم عليهم السبت، أن يبتغوا فيه تجارة أو صيدا وهكذا فالمؤمنون يدعون ربهم ألا يحمل عليهم أثقالا كما حملها على الذين من قبلهم، وقد بعث الله النبى الأمى يضع عن المؤمنين به من البشر كافة: **﴿ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾**(2) فجاءت هذه العقيدة سمحة ميسرة هينة لينة تتبع من الفطرة وتتبع خط الفطرة وقيل للرسول ﷺ: **﴿ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾**(3).

على أن الإصر الأكبر الذى رفعه الله عن كاهل الأمة المسلمة والذى حمله الله على عاتق الأمم التى استخلفها فى الأرض قبلهم فنقضت عهد الاستخلاف وحادت عنه، هذا الإصر الأكبر هو إصر العبودية للبشر وعبودية العبد للعبد ممثلة فى تشرع العبد للعبد ودعاء المؤمنين يمثل شعورهم بنعمة الانطلاق والتحرر من العبودية للعبيد، كما يمثل خوفهم من الارتداد إلى ذلك الدرك القبيح.

---

(1) الأنعام: (146)   (2) الأعراف: (157).   (3) الأعلى: (8).

قال ابن جرير: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ قال جبريل: إن الله قد أحسن الثناء عليك وعلى أمتك فسل تعطه فسأل: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ إلى آخر الآية. وقوله ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ أى لا يكلف الله أحداً فوق طاقته. وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم. وهذه هى الناسخة الرافعة لما كان أشفق منه الصحابة فى قوله: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ أى هو وإن حاسب وسأل لكن لا يعذب إلا بما ملك الشخص دفعه فأما ما لا يملك دفعه من وسوسة النفس وحديثها فهذا لا يكلف به الإنسان وكراهية الوسوسة السيئة من الإيمان وقوله ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ أى من خير ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ أى من شر وذلك فى الأعمال التى تدخل تحت التكليف.

ثم قال تعالى مرشداً عباده إلى سؤاله وقد تكفل لهم بالإجابة كما أرشدهم وعلمهم أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ أى إن تركنا فرضنا على جهة النسيان أو فعلنا حراماً كذلك أو أخطأنا أى الصواب فى العمل جهلاً منا بوجهه الشرعى وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ أى لا تكلفنا من الأعمال الشاقة وإن أطقنا كما شرعتها للأمم الماضية قبلنا ومن الأغلال والأحبار التى كانت عليهم التى بعثت نبيك محمداً ﷺ نبى الرحمة بوضعه فى وضعه الذى أرسلته به من الدين الحنيفى السهل السمح.

وعلى هذا فقد من الله عز وجل على هذه الأمة بإرسال النبى ﷺ ليرفع هذا الإصر ويزيل هذه الأغلال وإن شاء الله سنذكر طرفا من هذا الإصر وهذه الأغلال التى كانت على الأمم السابقة ورفعها الله عز وجل عن هذه الأمة فضلا وكرما وببركة النبى ﷺ.

[١] المؤاخذة بحديث النفس ما لم تعمل الجوارح:

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ: قال «**إن الله تجاوز لأمتى عما توسوس به**

صدورهم ما لم تعمل أو تتكلم به وما استكرهوا عليه»[1].

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**إن الله تعالى تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به**»[2].

* عن أبى هريرة قال لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿**لله ما فى السموات وما فى الأرض وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، والله على كل شىء قدير**﴾ [البقرة: ٢٨٤] قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أى رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها. قال رسول الله ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير**» قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير. فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم فأنزل الله فى أثرها ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ**﴾ قال: «نعم»[3].

يستفاد من ذلك: تجاوز الله عز وجل عن هذه الأمة فى حديث النفس ما لم تقل أو تعمل.

[٢] المؤاخذة على الخطأ والنسيان:

* يقول الله عز وجل: ﴿**وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ**﴾[4].

---

(١) ابن ماجة فى الطلاق (٢٠٤٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مسلم فى الإيمان (١٢٥/١٩٩).

(٤) الأحزاب: (٥).

* يقول الله عز وجل: ﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

* عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تجاوز لى عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[2].

* عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**»[3].

* قال النووى: فى شرح الحديث [أى تجاوز عنهم إثم الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه].

قال ابن رجب: وقوله: «**الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**» فأما الخطأ والنسيان فقد صرح القرآن بالتجاوز عنهما[4] قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[5] وقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾[6].

وفى الصحيحين عن عمرو بن العاص سمع النبى ﷺ يقول: «**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر**»[7].

وقال الحسن: لولا ما ذكر الله من أمر هذين الرجلين: يعنى داود وسليمان لرأيت أن القضاة قد هلكوا فإنه أثنى على هذا بعمله وعذر هذا باجتهاده يعنى قوله: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾[8].

*** يستفاد من ذلك:**

عفو الله عن هذه الأمة فلم يؤاخذها على الخطأ والنسيان.

---

(١) النحل: (١٠٦).

(٢، ٣): سبق تخريجهما.

(٤) جامع العلوم والحكم ص (٤٢٠)

(٥) البقرة: (٢٨٦).

(٦) الأحزاب: (٥)

(٧) البخارى فى الاعتصام (٧٣٥٢) ومسلم فى الأقضية (١٧١٦/ ١٥).

(٨) الأنبياء: (٧٨)

[٣] قطع موضع النجاسة:

* عن عبد الرحمن بن حسنة أن النبى ﷺ قال: «**ألم تعلموا ما لقى صاحب بنى إسرائيل كانوا إذا أصابهم البول قطعوا ما أصابه البول منهم فنهاهم عن ذلك فعذب فى قبره**»(١).

* وعنه أيضاً قال رسول الله ﷺ: «**أو ما علمت ما أصاب صاحب بنى إسرائيل كانوا إذا أصابهم شىء من البول قرضوه بالمقاريض فنهاهم صاحبهم فعذب فى قبره**»(٢).

* عن أبى موسى الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بنى إسرائيل كان إذا أصاب أحدهم البول قرضه بالمقراض**»(٣).

* عن أم قيس بنت محصن أنها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام إلى رسول الله ﷺ فأجلسه رسول الله ﷺ فى حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يغسله(٤).

* عن أسماء بنت أبى بكر قالت: سألت امرأة رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله أرأيت إحدانا إذا أصاب ثوبها الدم من الحيضة كيف تصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إذا أصاب ثوب إحداكن الدم من الحيضة فلتقرضه ثم لتنضحه بماء ثم لتصل فيه**»(٥).

* عن لبابة بنت الحارث قالت: كان الحسين بن على رضى الله عنهما فى حجر النبى ﷺ فبال على ثوبه فقلت البس ثوبا وأعطنى إزارك حتى أغسله، قال: «**إنما يُغسل من بول الأنثى وينضح من بول الذكر**»(٦).

*** يستفاد من ذلك :**

تجاوز الله ورحمته بهذه الأمة بأن جعل لها الغسل فى النجاسات لتطهير الثياب.

---

(١) أبو داود فى الطهارة (٢٢).

(٢) النسائى فى الطهارة (١/ ٢٧، ٢٨) وابن ماجة فى الطهارة (٣٤٦) وأحمد (٤/ ١٩٦).

(٣) متفق عليه: البخارى فى الوضوء (٢٢٦) ومسلم فى الطهارة (٢٧٣/ ٧٤).

(٤) متفق عليه: البخارى فى الوضوء (٢٢٣) ومسلم فى الطهارة (٢٨٧/ ١٠٤) وفى السلام (٢٨٧/ ٨٦) (٢٢١٤/ ٨٧).

(٥) متفق عليه: البخارى فى الوضوء (٢٢٧) وفى الحيض (٣٠٧) ومسلم فى الطهارة (٢٩١/ ١١٠)

(٦) أبو داود فى الطهارة (٣٧٥) وابن ماجة فى الطهارة (٥٢٢) وأحمد (٦/ ٣٣٩)

[٤] تخصيص الطهارة بالماء فقط:

* يقول الله عز وجل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا** ﴾[١].

* وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾[٢].

* عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى، وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[٣].

* عن عائشة رضى الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش. انقطع عقد لى فأقام رسول الله ﷺ عن التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء فأتى الناس إلى أبى بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذى قد نام

---

(١) النساء: (٤٣). (٢) المائدة: (٦).

(٣) متفق عليه: البخارى فى التيمم (٣٣٥) وفى الصلاة (٤٣٨) ومسلم فى المساجد (٥٢١/٣)

فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟ فقالت عائشة: فعاتبنى أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعننى بيده فى خاصرتى فلا يمنعنى من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذى فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم. فتيمموا، فقال أسيد بن حضير: ما هى بأول بركتكم يا آل أبى بكر قالت: فبعثنا البعير الذى كنت عليه فأصبنا العقد تحته[1].

*** يستفاد من ذلك:**

أن هذه الأمة فضلت على سائر الأمم بالتيمم

[٥] تحريم الصلاة إلا فى مواضع مخصوصة :

* عن جابر أن النبى ﷺ قال: «**أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى، وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[2].

* قيل قال ابن التين: قيل المراد جعلت لى الأرض مسجداً وطهورا وجعلت لغيرى مسجداً ولم تجعل له طهورا لأن عيسى كان يسيح فى الأرض ويصلى حيث أدركته الصلاة كذا قال وسبقه إلى ذلك الداودى، وقيل إنما أبيحت لهم فى موضع يتيقنون طهارته بخلاف هذه الأمة فأبيح لها فى جميع الأرض إلا فيما يتيقنوا نجاسته، والأظهر ما قاله الخطابى وهو أن من قبله إنما أبيحت لهم الصلاة فى أماكن مخصوصة كالبيع والصوامع ويؤيده رواية عمرو بن شعيب بلفظ «**وكان من قبلى إنما كانوا يصلون فى كنائسهم**» وهذا نص فى مواضع النزاع فتثبت الخصوصية ويؤيده ما أخرجه البزار من حديث ابن عباس نحو حديث الباب وفيه «**ولم يكن من الأنبياء أحد يصلى حتى يبلغ محرابه**»[3].

---

(١) متفق عليه: البخارى فى التيمم (٣٣٤) ومسلم فى الحيض (١٠٨/٣٦٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: فتح البارى (١/ ٥٢١).

* عن المغيرة بن شعبة أنه دخل على المقوقس وأنه قال له إن محمد نبى مرسل ولو أصاب القبط والروم اتبعوه قال المغيرة فأقمت بالإسكندرية لا أدع كنيسة إلا دخلتها وسألت أساقفتها من قبطها ورومها عما يجدون من صفة محمد ﷺ وكان أسقف من القبط وهو رأس كنيسة أبى محنس كانوا يأتونه بمرضاهم فيداويهم ويدعو لهم، لم أر أحداً قط لا يصل الخمس أشد اجتهاداً منه فقلت أخبرنى هل بقى أحد من الأنبياء؟ قال نعم وهو آخرهم ليس بينه وبين عيسى أحد وهو نبى قد أمرنا عيسى باتباعه وهو النبى الأمى العربى اسمه أحمد، ليس بالطويل ولا بالقصير، فى عينيه حمرة، وليس بالأبيض، ولا بالأدم يعفى شعره ويلبس ما غلظ من الثياب، ويجتزئ ما بقى من الطعام، سيفه على عاتقه ولا يبالى من لاقه، يباشر القتال بنفسه ومعه أصحابه يفدونه بأنفسهم، هم له أشد حباً من أولادهم وآبائهم يخرج من أرض القرظ ومن حرم يأتى وإلى حرم يهاجر إلى أرض مسبخة ونخل يدين بدين إبراهيم يأتزر على وسطه ويغسل أطرافه ويخص بما لم يخص به الأنبياء قبله، وكان النبى يبعث إلى قومه، ويبعث إلى الناس كافة، وجعلت له الأرض مسجداً وطهورا أينما أدركته الصلاة تيمم وصلى ومن كان قبلهم مشدد عليهم لا يصلون إلا فى الكنائس والبيع[1].

*** يستفاد من ذلك:**

تفضيل الأمة بأن جعل لها الأرض مسجدا وطهورا.

[٦] اجتناب الحائض:

* عن أنس رضى الله عنه قال: «كانت اليهود إذا حاضت امرأة منهن لم يآكلوها ولم يشاربوها ولم يجامعوها فى البيوت فسئل النبى ﷺ فى ذلك فأنزل الله: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾**[2] فقال رسول الله ﷺ: **«اصنعوا كل شىء إلا النكاح»** فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا إلا خالفنا فيه فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا: يا رسول الله إن اليهود تقول كذا وكذا فلا نجامعهن فتغير وجه

(١) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى صـ١٤٥
(٢) البقرة: (٢٢٢)

رسول الله ﷺ حتى ظننا أن قد وجد عليهما فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن إلى رسول الله ﷺ فأرسل فى آثارهما فعرفا أن لم يجد عليهما»[1].

* عن عائشة قالت: «كنت أغتسل أنا والنبى ﷺ من إناء واحد، وكلانا جنب، وكان يأمرنى فأتزر فيباشرنى وأنا حائض، وكان يخرج رأسه إلىَّ وهو معتكف فأغسله وأنا حائض»[2].

* وعنها قالت: **«كنت أشرب وأنا حائض ثم أناوله النبى ﷺ فيضع فاه على موضع فىّ فيشرب وأتعرق العرق وأنا حائض ثم أناوله النبى ﷺ فيضع فاه على موضع فىّ»**[3].

* وعنها قالت: «كان النبى ﷺ يتكئ فى حجرى وأنا حائض ثم يقرأ القرآن»[4].

* وعن ميمونة رضى الله عنها قالت: **كان رسول الله ﷺ يصلى فى مرط بعضه عليه وبعضه علىّ وأنا حائض**[5].

وكان اليهود يبالغون فى التباعد عن المرأة حال الحيض فلا يآكلوها ولا يشاربوها ولا يساكنوها فى بيت واحد ويعتبرونها كأنها داء أو رجس وقذر وكان النصارى يفرطون فى التساهل فيجامعوهن ولا يبالون بالحيض، فجاء الإسلام بالحد الوسط: **«افعلوا كل شيء إلا النكاح»**[6] وهذا من محاسن الشريعة الإسلامية الغراء حيث أمر المسلمين بالاقتصاد بين الأمرين.

*** يستفاد من ذلك:**

تخفيف الله عن هذه الأمة عند إصابة المرأة بالحيض.

---

(١) مسلم فى الحيض (٣٠٢/١٦).

(٢) متفق عليه: البخارى فى الحيض (٢٩٩ - ٣٠١) وفى الاعتكاف (٢٠٣٠، ٢٠٣١) ومسلم فى الحيض (٢٩٧، ٣٠٠).

(٣) مسلم فى الحيض (٣٠٠/١٤).

(٤) متفق عليه: البخارى فى الحيض (٢٩٧) ومسلم فى الحيض (٣٠١/١٥).

(٥) أبو داود فى الطهارة (٣٦٩) وابن ماجة فى الطهارة (٦٥٣) وأحمد (٦/٦٧، ٩٩).

(٦) مسلم فى الحيض (٣٠٢/١٦).

معنى الإحداد: الإحداد هو ترك الزينة والتطيب والخضاب والتعرض لأنظار الخاطبين، وهو إنما وجب على الزوجة وفاءً للزوج ومراعاةً لحقه العظيم عليها، فإن الرابطة الزوجيةَ أقدس رباط فلا يصح شرعاً ولا أدبا أن تنسى ذلك الجميل وقد كانت المرأة تحد على زوجها حولاً كاملاً تفجعاً وحزناً على زوجها فنسخ الله ذلك وجعله أربعة أشهر وعشرا.

* عن أم سلمة أن امرأة قالت: يا رسول الله إن ابنتى توفى عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفنكحلها فقال: «لا» مرتين أو ثلاثاً «كل ذلك يقول «لا»، ثم قال: «**إنما هى أربعة أشهر وقد كانت إحداكن فى الجاهلية تمكث سنة**»[١].

* وعنها أيضا أن إمرأة تُوفِىَ عنها زوجها واشتكت عينها فأتت النبى ﷺ لتستفتيه فى الكحل فقال لها: «**لقد كانت إحداكن تكون فى شر أحلاسها فتمكث فى بيتها حولا إذا تُوفِىَ زوجها فيمر عليها الكلب فترميه بالبعرة أفلا أربعة أشهر وعشرا؟**»[٢].

* قالت زينب بنت أم سلمة: كانت المرأة إذا تُوفِىَ عنها زوجها دخلت حفشا ولبست شر ثيابها ولم تمس طيباً ولا شيئاً، تمر بها سنة ثم تخرج فتعطى بعرة فترمى بها ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة فتفتض بها فقلما تفتض بشىء إلا مات[٣].

* قال ابن قتيبة: سألت الحجازيين عن الافتضاض فذكروا أن المعتدة لا تمس ماءً ولا تقلم ظفراً ولا تزيل شعراً، ثم تخرج بعد الحول بأقبح منظر ثم تفتض بطائر، أى تمسح قبلها به فلا يكاد يعيش ما تفتض به، والمراد أنه يموت من نتنها

وفى ذلك إشارة إلى أن التربص فى تلك المشقة والجهد هو عندها بمنزلة البعرة تعظيماً لحق زوجها.

*** يستفاد من ذلك:**

فضل الله عز وجل على هذه الأمة بتخفيف حكم إحداد المرأة المتوفى عنها زوجها.

---

(١) متفق عليه: البخارى فى الطلاق (٥٣٣٦) ومسلم فى الطلاق (١٤٨٨).

(٢) متفق عليه: البخارى فى الطلاق (٥٣٣٨) ومسلم فى الطلاق (١٤٨٨/ ٦٠).

(٣) مسلم فى الطلاق (١٤٨٩) وحفشا: بيتا صغيرا حقيرا قريب السمك

[٨] فضيحة أصحاب المعاصي:

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: **«غزا نبى من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعنى منكم رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولما يبن بها ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا أحداً اشترى غنما أو خلفات وهو ينظر ولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم فجاءت النار لتأكلها فلم تطعمها فقال: إن فيكم غلولا فليبايعنى من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده. فقال: فيكم الغلول فلتبايعنى قبيلتك فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده فقال: فيكم الغلول. فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعوها. فجاءت النار فأكلتها ثم أحل الله لنا الغنائم. رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا»**[١].

* قال ابن حجر فى شرح هذا الحديث: قال ابن المنير: جعل الله علامة الغلول إلزاق يد الغال، وفيه تنبيه على أنها يد عليها حق يطلب أن يتخلص منه أو أنها يد ينبغى أن يضرب عليها ويحبس صاحبها حتى يؤدى الحق إلى الإمام وهو من جنس شهادة اليد على صاحبها يوم القيامة. وقال أيضا: وقد مَنّ الله على هذه الأمة ورحمها لشرف نبيها عنده فأحل لهم الغنيمة وستر عليهم الغلول فطوى عنهم فضيحة أمر عدم القبول فلله الحمد على نعمه تترا[٢].

* عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال: إن اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله ﷺ: **«ما تجدون فى التوراة فى شأن الرجم؟!»** فقالوا نفضحهم ويجلدون. قال: عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، قالوا: صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بها رسول الله ﷺ

(١) متفق عليه: البخارى فى فرض الخمس (٣١٢٤) وفى النكاح (٥١٥٧) ومسلم فى الجهاد (١٧٤٧/ ٣٢).
(٢) فتح البارى: ٦/ ٢٥٧، ٢٥٨.

فرجمها فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة[١].

* وقال ابن حجر فى قول (فقالوا نفضحهم) بفتح أوله وثالثه من الفضيحة قوله (ويجلدون) وقع بيان الفضيحة فى رواية أيوب بن نافع الآتية فى التوحيد بلفظ «**قالوا نسخم وجوههما ونخزيهما**»[٢] وفى رواية عبد الله بن عمر «**قالوا نسود وجوههما ونحممهما ونخالف بين وجوههما ويطاف بهما**»[٣] وفى رواية عبد الله بن دينار «**أن أحبارنا أحدثوا تحميم الوجه والتجبيه**». وفى حديث أبى هريرة «**يحمم ويجبه ويجلد**»[٤] والتجبيه أن يحمل الزانيان على حمار وتقابل أقفيتهما ويطاف بهما[٥].

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**إذا زنت الأمة فتبين زناها فليجلدها ولا يثرب، ثم إن زنت فليجلدها ولا يثرب، ثم إن زنت الثالثة فليبعها ولو بحبل من شعر**»[٦].

* قال ابن حجر: أى لا يجمع عليها العقوبة بالجلد وبالتعيير.

وفى رواية سعيد عن أبى هريرة عند عبد الرزاق: «**ولا يعيرها ولا يفندها**» قال ابن بطال: يؤخذ منه أن كل من أقيم عليه الحد لا يعذر ولو بالتعنيف واللوم وإنما يليق ذلك بمن صدر منه قبل أن يرفع إلى الإمام للتحذير والتخويف فإذا رفع وأقيم عليه الحد كفاه[٧].

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**لا يستر عبدٌ عبداً فى الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة**»[٨].

*** يستفاد من ذلك:**

أن الأمم السابقة كانت تُفضح بهذه المعصية، أما هذه الأمة.. فالله سبحانه وتعالى ستر هذه الأمة.

---

(١) البخارى فى الحدود (٦٨٤١)
(٢) البخارى فى التوحيد (٧٥٤٣).
(٣) مسلم فى الحدود (١٦٩٩/٢٦)
(٤) أبو داود فى الحدود (٤٤٥٠).
(٥) فتح البارى (١٢/ ٢١٤).
(٦) متفق عليه: البخارى فى البيوع (٢١٥٢) وفى الحدود (٦٨٣٩) ومسلم فى الحدود (١٧٠٣/ ٣٠).
(٧) فتح البارى (١٢/ ١٧٢).
(٨) مسلم فى البر والصلة والآداب (٢٥٩٠/ ٧١).

[٩] التوبة بقتل النفس:

* يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[١].

* يقول عبد الرحمن السعدنى فى تفسير الآية: ثم إنه أمركم بالتوبة على لسان نبيه موسى بأن يقتل بعضكم بعضا، فعفى الله عنكم بسبب ذلك لعلكم تشكرون لله[٢].

هذه صفة توبته تعالى على بنى إسرائيل من عبادة العجل حين وقع فى قلوبهم من شأن عبادتهم العجل ما وقع﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ أى إلى خالقكم وفى قوله هاهنا: ﴿إِلَىٰ بَارِئِكُمْ﴾ تنبيه على عظم جرمهم أى فتوبوا إلى الذى خلقكم وقد عبدتم معه غيره.

قال ابن جرير بسنده عن ابن عباس: أمر موسى قومه عن أمر ربه عز وجل أن يقتلوا أنفسهم قال: وأخبر الذين عبدوا العجل فجلسوا وقام الذين لم يعكفوا على العجل فأخذوا الخناجر بأيديهم وأصابتهم ظلمة شديدة فجعل يقتل بعضهم بعضا فانجلت الظلمة عنهم وقد جلسوا عن سبعين ألف قتيل كل من قتل منهم كانت له توبة وكل من بقى كانت له توبة.

* عن أبى سعيد الأنصارى أن النبى ﷺ قال: «**الندم توبة والتائب من الذنب كمن لا ذنب له**»[٣].

*** يستفاد من ذلك:**

أن الله سبحانه وتعالى خفف عن هذه الأمة عند التوبة.

---

(١) البقرة: (٥٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (١/ ٦٠).

(٣) الجامع الصغير للسيوطى (٩٣١٦) وقال: ضعيف.

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: **«غزا نبى من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعنى منكم رجلا ملك بضع إمرأة وهو يريد أن يبنى بها ولما يبن بها ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقوفها ولا أحداً اشترى غنما أو خلفات وهو ينظر ولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم فجاءت النار لتأكلها فلم تطعمها فقال: إن فيكم غلولا فليبايعنى من كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده. فقال: فيكم الغلول فلتبايعنى قبيلتك فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده فقال: فيكم الغلول. فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب فوضعوها. فجاءت النار فأكلتها ثم أحل الله لنا الغنائم رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا»**(١).

قال ابن حجر فى شرح هذا الحديث: وفيه اختصاص هذه الأمة بحل الغنيمة وكان ابتداء ذلك من غزوة بدر.

وقال الصنعانى: [قال الخطابى: كان من تقدم أى من الأنبياء على ضربين، منهم من لم يؤذن له فى الجهاد فلم تكن لهم غنائم، ومنهم من أذن لهم فيه ولكن إذا غنموا شيئا لم يحل لهم أن يأكلوه وجاءت نار فأحرقته](٢).

* عن جابر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: **«أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى، وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة»**(٣).

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: **«لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس من**

(١) سبق تخريجه
(٢) سبل السلام ١/١٩٣
(٣) متفق عليه: البخارى فى التيمم (٣٣٥) ومسلم فى المساجد (٣/٥٢١).

قبلكم كانت تجمع وتنزل نار من السماء فتأكلها»[1].

* يقول الله عز وجل: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]. قال ابن عباس فى قوله ﴿لَوْلا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾[3] يعنى فى أم الكتاب الأول أن المغانم والأسارى حلال لكم لمسكم فيما أخذتم من الأسارى عذاب عظيم. وقال أبو هريرة وابن مسعود وغيرهما: ﴿لَوْلا كِتَابٌ سَبَقَ﴾ لهذه الأمة بإحلال الغنائم.

*** يستفاد من ذلك:**

أن الغنائم كانت محرمة على الأمم السابقة وأحلها الله لهذه الأمة.

[١١] تحريم بعض الطيبات من الأطعمة:

* يقول الله عز وجل: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ يقول ابن كثير: يخبر تعالى أنه بسبب ظلم اليهود بما ارتكبوه من الذنوب العظيمة وروى ابن أبى حاتم أن ابن عباس قرأ ﴿طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾[4].

* ويقول الله عز وجل: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾[5] وقال تعالى ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا﴾[6].

* ويقول الله عز وجل ﴿النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ

---

(١) أحمد (٢/ ٢٥٢) والترمذى فى التفسير (٣٠٨٥) وقال: حسن صحيح.
(٢) الأنفال: (٦٩).
(٣) الأنفال: (٦٨).
(٤) النساء: (١٦٠).
(٥) الأنعام: (١٤٦).
(٦) المائدة: (٨٨).

الْخَبَائِثَ﴾[1].

* عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحلت لنا ميتتان ودمان: الميتتان: الحوت والجراد، والدمان الكبد والطحال**»[2]

* قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ**﴾[3] قال السعدى: وهى كل ما فيه نفع أو لذة من غير ضرر فى البدن أو بالعقل فدخل فى ذلك جميع الحبوب والثمار التى فى القرى والبرارى ودخل فى ذلك جميع حيوانات البر والبحر إلا ما استثناه الشارع كالسباع والخبائث منها[4].

*** يستفاد من ذلك:**

أن الله سبحانه وتعالى أحل للأمة الطيبات وحرم عليهم الخبائث.

[١٢] تحريم اشتغالهم يوم العيد:

* قصة أصحاب القرية التى كانت تطل على البحر فنهاهم الله عز وجل عن الصيد يوم عيدهم وهو يوم السبت، فخالفوا أمر الله فجعلهم قردة خاسئين.

يقول الله عز وجل: ﴿ **وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ . وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ. فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ. فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**﴾[5].

* يقول سيد قطب: وحرم عليهم السبت أن يبتغوا فيه تجارة أو صيداً، فلقد طلبوا أن يكون لهم يوماً راحة مقدسة فجعل الله لهم يوم السبت راحة مقدس لا

---

(١) الأعراف: (١٥٧)
(٢) أحمد (٢/٩٧) وابن ماجة فى الأطعمة (٣٣١٤).
(٣) المائدة: (٥)
(٤) تفسير الكريم:/ ٤٥٦.
(٥) الأعراف: (١٦٣ ـ ١٦٦).

يعملون فيه للمعايش، ثم ابتلاهم بعد ذلك بالحيتان يوم السبت تكثر يوم السبت وتختفى فى غيره، وكان ابتلاء لم تصمد له اليهود وكيف تصمد وتدع هذا الصيد القريب يضيع أتتركه وفاءً بعهد واستمساكاً بميثاق، إن هذا ليس من طبع اليهود[1].

* يقول الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ. فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

*** يستفاد من ذلك:**

تفضيل الأمة بإباحة البيع والشراء وغيره فى يوم العيد.

[١٣] وجوب تعيين القصاص:

* يقول الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَىٰ بِالأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3].

يقول تعالى إنما شرع لكم أخذ الدية فى العمد تخفيفا من الله عليكم ورحمة بكم مما كان محتوما على الأمم قبلكم من القتل.

وقوله ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾[4] أى يعتقدون فيه ويخالفون أمر الله فيه لهم بالوصاة به إذ ذاك ﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا﴾

قال ابن عباس: أى ظاهرة على الماء ﴿ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم﴾ أى نختبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء فى اليوم المحرم عليهم صيده وإخفائها عنهم فى اليوم الحلال لهم صيده ﴿كذلك نبلوهم﴾ نختبرهم ﴿بما

---

(١) فى ظلال القرآن صـ٧٦، ٣٤٦.
(٢) الجمعة: (٨، ٩).
(٣) البقرة: (١٧٨).
(٤) الأعراف: (١٦٣)

كانوا يفسقون﴾ يقول: بفسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها.

* يقول الله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1].

* عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: كان فى بنى إسرائيل القصاص ولم يكن فيهم الدية فقال الله لهذه الأمة ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ إلى قوله ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ فالعفو أن تقبل الدية فى العمد: ﴿ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ يتبع الطالب بمعروف ويؤدى إليه المطلوب بإحسان ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ مما كتب على من كان قبلكم ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ قتل بعد قبول الدية ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**من قتل له قتيل فهو بخير النظرين: إما أن يقاد وإما أن يفدى**»[3].

* عن ابن عمرو أن النبى ﷺ قال: «**دية عقل الكافر نصف عقل المؤمن**»[4].

* قال ابن حجر: قال ابن بطال: معنى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ إشارة إلى أن أخذ الدية لم يكن فى بنى إسرائيل بل كان القصاص متحتما فخفف الله عن هذه الأمة بمشروعية أخذ الدية إذا رضى المقتول[5]. وقال أيضاً: **وقد قيل إن شريعة عيسى لم يكن فيها قصاص وإنما كان الدية فقط فإن ثبت ذلك امتيازات شريعة الإسلام بأنها جمعت الأمرين فكانت وسطى لا إفراط ولا تفريط**[6].

---

(١) النساء: (٩٥). (٢) البخارى فى التفسير (٤٤٩٨).
(٣) ابن ماجة فى الديات (٢٦٢٤). انظر: إرواء الغليل (١٠٥٧).
(٤) الترمذى فى الديات (١٤١٣). انظر: صحيح الجامع (٣٣٩٧).
(٥) فتح البارى: ١٢/ ٢١٤. (٦) فتح البارى: ١٢/ ٢١٨.

* **يستفاد من ذلك:**

تخفيف الله عن هذه الأمة بأن جعل لها الدية.

[١٤] الطاعون عذاب على الأمم السابقة:

* عن أسامة بن زيد أن النبى ﷺ قال: «**إن هذا الوباء رجز أهلك الله به الأمم قبلكم وقد بقى منه فى الأرض شىء يجىء أحياناً ويذهب أحياناً فإذا وقع بأرض فلا تخرجوا منها فراراً وإذا سمعتم به فى أرض فلا تأتوها**»[١].

* عن عائشة أن النبى ﷺ قال: «**الطاعون كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء وإن الله جعله رحمة للمؤمنين فليس من أحد يقع الطاعون فيمكث فى بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد**»[٢].

* عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: «**الطاعون غدة كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفار منها كالفار من الزحف**»[٣].

* عن أنس أن النبى ﷺ قال: «**الطاعون شهادة لكل مسلم**»[٤].

* عن أبى موسى الأشعرى أن النبى ﷺ قال: «**الطاعون وخز أعدائكم من الجن وهو لكم شهادة**»[٥].

* عن أسامة بن زيد أن النبى ﷺ قال: «**الطاعون آية الرجز، ابتلى الله به ناسا من عباده فإذا سمعتم به فلا تدخلوا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تفروا منه**»[٦].

* عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: «**الطاعون شهادة لأمتى ووخز أعدائكم من الجن غدة كغدة الإبل تخرج فى الآباط والمراق، من مات فيه**

(١) أحمد: (٥/٢٠٧، ٢٠٨)
(٢) البخارى فى الطب (٥٧٣٤).
(٣) أحمد: (٦/١٤٥).
(٤) البخارى فى الطب (٥٧٣٢)
(٥) صحيح الجامع (٣٩٥١).
(٦) مسلم فى السلام (٢٢١٨/٩٣)

مات شهيدا أو من أقام فيه كان كالمرابط فى سبيل الله ومن فر منه كان كالفار من الزحف»[1].

يستفاد من ذلك:

أن الطاعون الذى هو الوباء كان يبعث على الأمم السابقة نقمة وعذاب، وهو لهذه الأمة شهادة ورحمة بشرط الصبر والاحتساب.

*****

الفضيلة الثانية

يسر الشريعة وسهولتها

* يقول الله عز وجل: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾[2].

ويقول تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[3].

ويقول تعالى ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾[4].

ويقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[5].

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة**»[6].

* عن أنس أن النبى ﷺ قال: «**خير دينكم أيسره**»[7].

* عن محجن بن الأدرع أن النبى ﷺ قال: «**إن الله تعالى رضى لهذه الأمة اليسر وكره لها العسر**»[8].

* عن عائشة أن النبى ﷺ قال: «**إن الله لم يبعثنى معنّتا ولا متعنّتا ولكن بعثنى معلما وميسرا**»[9].

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا**

(١) صحيح الجامع (٣٩٤٦).
(٢) المائدة: (٦).
(٣) الحج: (٧٨).
(٤) البقرة: (١٨٥).
(٥) القمر: (١٧).
(٦) البخارى فى الإيمان (٣٩).
(٧) أحمد (٣/ ٤٧٩) وانظر صحيح الجامع (٣٣٠٩)
(٨) صحيح الجامع (١٧٦٩).
(٩) مسلم فى الطلاق (١٤٧٨/ ٢٩)

معسرين»[1].

عن أنس أن النبى ﷺ قال: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»[2].

*** يستفاد من ذلك:**

تيسير الله عز وجل لهذه الأمة شريعتها ورحمته بها وتفضيل هذه الأمة على سائر الأمم بتيسير هذه الشريعة.

*****

الفضيلة الثالثة

كمال الشريعة وتمامها وصلاحيتها إلى يوم القيامة

* يقول الله عز وجل: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾[3].

* عن طارق بن شهاب: قالت اليهود لعمر إنكم تقرأون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدا. فقال عمر: إنى لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت: يوم عرفة وإنا والله بعرفة. قال سفيان وأشك كان يوم جمعة أم لا[4]. وهو فعلاً يوم الجمعة.

* قال عبد العزيز السلمان: فى هذه الآية الجليلة القدر العظيمة الموقع كبيرة الفائدة حسنة المغزى اختارها الله سبحانه وتعالى ليختم بها كتابه الكريم فى أحكام شريعته ومن مزايا هذه الآية الكريمة التى انفردت بها عما بقى من السور والآيات أن الله أكمل بها الدين بمعرفة الأحكام الشرعية من الفرائض والسنن والحدود والأحكام والحلال والحرام ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام ولا شيئًا من الفرائض وأتم بها النعمة على عباده المؤمنين بهدايتهم لأحكامه وتوفيقهم لمعرفة أمره ونهيه وحلاله وحرامه وإنجازه سبحانه ما وعد به فى قوله: ﴿ولأتم نعمتى عليكم﴾[5]

---

(١) الترمذى فى الطهارة (١٤٧) وأحمد (٢/ ٢٣٩) وانظر صحيح الجامع (٢٣٥٠).

(٢) متفق عليه: البخارى فى الجهاد (٣٠٣٩) ومسلم فى الجهاد (١٧٣٢/ ٦) واللفظ لمسلم.

(٣) المائدة (٣). (٤) البخارى فى التفسير (٤٦٠٦). (٥) البقرة: (١٥٠)

فكان من تمام نعمته أن دخلوا مكة آمنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين وأنه سبحانه اختار لهذه الأمة دين الإسلام وملة إبراهيم عليه السلام عن الأديان كلها بياناً لشرف هذا الدين واعتناءً بأمة محمد ﷺ[١].

* قال محمد الأمين الشنقيطى: [وهذه الآية نص صريح فى أن دين الإسلام لم يترك شيئاً يحتاج إليه الخلق فى الدنيا ولا فى الآخرة إلا وأوضحه وبينه كائناً ما كان][٢].

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية: [أكمل الله دينه الذى بعث به النبى ﷺ وجمع محاسن ما عليه الأمم فلا يذكر فى التوراة والإنجيل والزبور نوع من الخبر عن الله وعن ملائكته وعن اليوم الآخر إلا وقد جاء به على أكمل وجه وأخبر بأشياء ليست فى هذه الكتب[٣].

* قال السعدى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ بتمام النصر وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة الأصول والفروع ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية فى أحكام الدين وأصوله وفروعه[٤].

*** يستفاد من ذلك:**

كمال الشريعة وتمامها وصلاحيتها إلى يوم القيامة.

*****

الفضيلة الرابعة

خير أمة أخرجت للناس

* يقول الله عز وجل: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[٥].

* عن أبى هريرة رضى الله عنه قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: خير الناس للناس تأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الإسلام[٦].

---

(١) موارد الظمآن: (١/ ٤٩٧).
(٢) رسالة الإسلام دين كامل صـ٦.
(٣) موارد الظمآن ٦/ ٥٥١.
(٤) تفسير الكريم الرحمن (١/ ٤٥٥).
(٥) آل عمران: (١١٠).
(٦) تفسير ابن كثير ١/ (٣٣٦)

قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء وربيع بن أنس: يعنى خير الناس للناس.

قال ابن كثير: والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس.

* عن معاوية بن حيدة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنكم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله»**(١).

* عن ابن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: **«مثل المؤمن مثل النخلة إن أكلت أكلت طيبة وإن وضعت وضعت طيبة وإن وقعت على عود نخر لم تكسره ومثل المؤمن مثل سبيكة الذهب إن نفخت عليها احمرت وإن وزنت لم تنقص»**(٢).

* عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: **«مثل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها من شىء نفعك»**(٣).

* عن أنس أن النبى ﷺ قال: **«مثل أمتى مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره»**(٤).

* عن على بن أبى طالب أن النبى ﷺ قال: **«أعطيت أربعا لم يعطهن أحد من أنبياء الله: أعطيت مفاتيح الأرض وسميت أحمد وجعلت أمتى خير الأمم وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً»**(٥).

* قال عبد الرحمن السعدى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾(٦) أى عدلا خياراً وما عدا الوسط فالأطراف داخلة تحت الخطر فجعل الله هذه الأمة وسطًا فى كل أمور الدين وسطًا فى الأنبياء بين من غلا فيم كالنصارى وبين من جفاهم

---

(١) أحمد (٥/٣) والترمذى فى التفسير (٣٠٠١) وابن ماجة فى الزهد (٤٢٨٨) وانظر صحيح الجامع (٢٣٠١).

(٢) أحمد (٢/١٩٩) وانظر صحيح الجامع (٥٨٤٦)

(٣) انظر السلسلة الصحيحة للألبانى (٢٢٨٥).

(٤) أحمد (٣/١٣٠، ١٤٣) والترمذى فى الأمثال (٢٨٦٩) وانظر صحيح الجامع (٥٨٥٤)

(٥) أحمد (١/٣٠١) والبيهقى فى الدلائل (٥/٤٧٢).

(٦) البقرة: ١٤٣

كاليهود بأن آمنوا بربهم كلهم على الوجه اللائق بذلك ووسطًا فى الشريعة لا تشديدات اليهود وآصارهم ولا تهاون النصارى، وفى باب الطهارة والمطاعم لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا فى بيعهم وكنائسهم ولا يطهرهم الماء من النجاسات وقد حرمت عليهم الطيبات عقوبة لهم ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئًا ولا يحرمون شيئًا بل أباحوا ما دب ودرج، بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وحرم عليهم الخبائث من ذلك

فلهذه الأمة من الدين أكمله ومن الأخلاق أجلها ومن الأعمال أفضلها ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان ما لم يهبه لأمة سواهم فلذلك كانوا: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ كاملين معتدلين ليكونوا: ﴿ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان ولا يحكم عليهم غيرهم، فما شهدت له هذه الأمة بالقبول فهو مقبول وما شهدت له بالرد فهو مردود فإن قيل كيف يقبل حكمهم على غيرهم، والحال أن كل مختصمين غير مقبول قول بعضهم على بعض؟ قيل: إنما لم يقبل قول أحد المتخاصمين لوجود التهمة.

فإما إذا انتفت التهمة وحصلت العدالة التامة كما فى هذه الأمة فإنما المقصود الحكم بالعدل والحق وشرط ذلك العلم والعدل وهما موجودان فى هذه الأمة فقبل قولها.

فإن شك شاك فى فضلها وطلب مزكيا لها فهو أكمل الخلق نبيهم ﷺ فلهذا قال تعالى: ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾[1]

*** يستفاد من ذلك:**

أن هذه الأمة هى أفضل الأمم وخيرها على الإطلاق.

---

(١) تفسير الكريم الرحمن ١/١٠٥، ١٠٦.

الفضيلة الخامسة

ذكر الأمة فى الكتب السابقة

* يقول الله عز وجل ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

قال ابن كثير وقال مالك: بلغنى أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضى الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا وصدقوا فى ذلك فإن هذه الأمة معظمة فى الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله ﷺ، وقد نوه الله تبارك وتعالى بذكرهم فى الكتب المنزلة والأخبار المتداولة[2].

* قال الإمام الشافعى: وقد أثنى الله على الصحابة فى التوراة والإنجيل والقرآن وسبق لهم على لسان نبيهم ﷺ من الفضل ما ليس لأحد بعدهم[3].

* وفى «الثقفيات» حدثنا قتيبة بن سعيد عن سعيد بن عبد الرحمن المعافرى عن أبيه أن كعبًا رأى حبر اليهود يبكى فقال له ما يبكيك؟ قال: ذكرت بعض الأمر.

فقال كعب: أنشدك الله لئن أخبرتك ما أبكاك لتصدقنى؟ قال: نعم. قال: أنشدك بالله هل تجد فى كتاب الله المُنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال: رب إنى أجد خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلون الأعور الدجال فاجعلهم أمتى. قال هم أمة أحمد يا موسى؟ قال الحبر: نعم.

---

(١) الفتح: (٢٩)

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٨١).

(٣) هداية الحيارى صـ١٨٩.

قال كعب: فأنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال: يا رب إنى أجد أمة هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون إذا أرادوا أمرًا قالوا: نفعله إن شاء الله فاجعلهم أمتى. قال هم أمة أحمد يا موسى؟ قال الحبر: نعم.

فقال كعب: فأنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال: يارب إنى أجد أمة إذا أشرف أحدهم على شرف(*) كبر الله وإذا هبط حمد الله، الصعيد طهورهم والأرض لهم مسجدًا حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء، غرًا محجلين من آثار الوضوء فاجعلهم أمتى. قال: هم أمة أحمد يا موسى. قال الحبر: نعم.

قال كعب: فأنشدك الله أتجد فى كتاب الله أن موسى نظر فى التوراة فقال يارب إنى أجد أمة مرحومة ضعفاء أورثتهم الكتاب فاصطفيتهم لنفسك فمنهم ظالم ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحد منهم إلا مرحومًا فاجعلهم أمتى قال: هم أمة أحمد يا موسى. قال الحبر: نعم.

قال كعب: أنشدك الله أتجد فى كتاب الله أن موسى نظر فى التوراة فقال: يارب إنى أجد أمة مصاحفهم فى صدورهم يصفون فى صلاتهم كصفوف الملائكة، أصواتهم فى مساجدهم كدوى النحل، لا يدخل النار منهم أحد إلا من برئ من الحسنات مثل ما برئ الحجر من ورق الشجر قال موسى: فاجعلهم أمتى. قال: هم أمة أحمد يا موسى قال الحبر:

نعم. فلما عجب موسى من الخير الذى أعطى الله محمدًا وأمته قال ليتنى من أصحاب محمد فأوحى الله إليه ثلاث آيات يرضيه بهن: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾(1). ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾(2). ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ﴾(3) قال: فرضى موسى كل الرضا(4).

*** يستفاد من ذلك:**

بيان فضل الأمة الإسلامية على سائر الأمم السابقة.

(*) شرف: مكان مرتفع.

(1) الأعراف: (144).

(2) الأعراف: (159).

(3) الأعراف: (145).

(4) هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى صـ190، 191.

الفضيلة السادسة

تعلو ولا يعلى عليها

* عن أبى بن كعب أن النبى ﷺ قال: «**بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والنصر والتمكين فى الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب**»(١).

* عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ أنه قال: «**رأيت كأنى الليلة فى دار عقبة ابن رافع وأوتيت بتمر من تمر ابن طاب فأولت أن لنا الرفعة فى الدنيا والعاقبة فى الآخرة وأن ديننا قد طاب**»(٢).

* وعن عائذ بن عمرو المزنى أنه جاء يوم الفتح مع أبى سفيان بن حرب ولم يكن قد أسلم بعد ورسول الله ﷺ حوله أصحابه فقالوا هذا أبو سفيان وعائذ بن عمرو فقال النبى ﷺ «**هذا عائذ بن عمرو وأبو سفيان، الإسلام أعز من ذلك.. الإسلام يَعلو ولا يُعلى**»(٣).

قال ابن حجر: وفى هذه القصة أن للمبدأ به فى الذكر تأثيرًا فى الفضل لما يفيده من الاهتمام.

* يقول الله عز وجل: ﴿**فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ**﴾(٤).

* وقال ﴿**وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾(٥).

* يقول سيد قطب: لا تهنوا من الوهن والضعف ولا تحزنوا لما أصابكم وما

(١) أحمد (٥/ ١٣٤)وانظر صحيح الجامع (٢٨٥٢).
(٢) مسلم فى الرؤيا (٢٢٧٠/١٨) وأبو داود فى الأدب (٥٠٢٥) وأحمد (٣/ ٢١٣).
(٣) الدارقطنى (٣٥٧٨) والسيوطى فى الجامع الصغير (٣٠٦٣) وعزاه للروياني والضياء عن عائذ بن عمرو وانظر إرواء الغليل (٥/ ١٠٦ ـ ١٠٩).
(٤) محمد: (٣٥).
(٥) آل عمران: (١٣٩).

فاتكم وأنتم الأعلون، عقيدتكم أعلى فأنتم تسجدون لله وحده وهم يسجدون لشيء من خلقه أو لبعض من خلقه ومنهجكم أعلى فأنتم تسيرون على منهج من صنع الله وهم يسيرون على منهج من صنع غير الله ودوركم أعلى فأنتم الأوصياء على هذه البشرية كلها الهداة لهذه البشرية وهم شاردون عن النهى ضالون عن الطريق ومكانكم فى الأرض أعلى فلكم وراثة الأرض التى وعدكم الله بها وهم إلى الفناء والنسيان صائرون فإن كنتم مؤمنين حقًا فأنتم الأعلون وإن كنتم مؤمنين حقًا فلا تهنوا ولا تحزنوا فإنما هى سنة الله أن تصابوا وتصبروا على أن تكون لكم العقبى بعد الجهاد والابتلاء والتمحيص(١).

*** يستفاد من ذلك:**

أن الأمة أعلى وأعز من غيرها من الأمم السابقة والأمم الكافرة.

*****

الفضيلة السابعة

أمـــة جـــهاد

* يقول الله عز وجل: **﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ . قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ . قَالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ . قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾**(٢).

قال ابن كثير: وهذا نكول منهم عن الجهاد ومخالفة لرسولهم وتخلف عن مقاتلة الأعداء.

* ما حدث من الأنصار عند الخروج لأخذ العير التى كانت مع أبى سفيان،

(١) فى ظلال القرآن ـ١/ ٤٨٠.

(٢) المائدة: (٢١ ـ ٢٤).

قال الأنصار إذًا لا نقول له كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾. والذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا إنا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء لعل الله أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله[1].

* عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: **«بعثت بين يدى الساعة بالسيف حتى يعبد الله تعالى وحده لا شريك له، وجعل رزقى تحت ظل رمحى، وجعل الذل والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم فهو منهم»**[2].

*** يستفاد من ذلك:**

أن هذه الأمة أمة جهاد ليست بأمة متخاذلة كاليهود والنصارى، وأن الجهاد ماض إلى يوم القيامة.

*****

الفضيلة الثامنة

ثبوت الفضل والاصطفاء لهذه الأمة جميعًا

* يقول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾[3].

يقول ابن كثير: يقول الله تعالى ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم المصدق لما بين يديه من الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا وهم هذه الأمة ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع فقال تعالى ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ وهو المفرط فى فعل بعض الواجبات المرتكب لبعض المحرمات. ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ وهو المؤدى للواجبات التارك للمحرمات وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وهو الفاعل للواجبات والمستحبات والتارك للمحرمات

---

(١) الرحيق المختوم صـ ٢٣٢.

(٢) البخارى تعليقا فى الجهاد (باب ـ ٨٨) وأحمد (٢/ ٥٠) وانظر صحيح الجامع (٢٨٣١).

(٣) فاطر: (٣٢). (٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٤).

والمكروهات وبعض المباحات.

وقال ابن عباس: هم أمة محمد ﷺ ورثهم الله تعالى كل كتاب أنزله فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب[1].

* سألت عائشة رضى الله عنها عن تفسير الآية فقالت: يا بنى هؤلاء فى الجنة، أما السابق فى الخيرات فمن مضى على عهد النبى ﷺ شهد له رسول الله بالجنة، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلى ومثلكم. قال: فجعلت نفسها معنا وهذا من باب التواضع. وإلا فهى من أكبر السابقين بالخيرات.

وقال كعب الأحبار: إن الظالم لنفسه من هذه الأمة والمقتصد والسابق للخيرات كلهم فى الجنة. وقال محمد بن الحنفية: إنها أمة مرحومة الظالم مغفور له والمقتصد فى الجنان عند الله والسابق بالخيرات فى الدرجات العلى.

* عن أنس أن النبى ﷺ قال: «**فى كل من أمتى سابقون**»[2].

* عن أبى عبد الرحمن الجهمى أن النبى ﷺ قال: «**طوبى لمن رآنى وآمن بى وطوبى لمن آمن بى ولم يرنى**» «ثلاث مرات»[3].

* عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «**إنما أجلكم فيما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغارب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استأجر أجراء فقال من يعمل من غدوه إلى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود ثم قال من يعمل من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى ثم قال: من يعمل من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين قيراطين فأنتم هم فغضبت اليهود والنصارى مالنا أكثر عملا وأقل عطاءاً، قال هل ظلمتكم من حقكم شيئًا؟ قالوا: لا قال: كذلك فضلى أوتيه من أشاء**»[4].

* عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «**ما من أمة إلا وبعضها فى النار وبعضها فى الجنة إلا أمتى فإنها كلها فى الجنة**»[5].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٧٤). (٢) أبو نعيم فى الحلية والديلمى انظر السلسلة الصحيحة (٢٠٠١).

(٣) الطبرانى والحاكم (٤/ ٨٦) انظر السلسلة الصحيحة (١٢٥٤).

(٤) البخارى فى الإجارة (٢٢٦٨) وفى الأنبياء (٣٤٥٩) وفى فضائل القرآن (٥٠٢١) وأحمد (٢/ ٩).

(٥) الجامع الصغير (٧٩٩٨) وعزاه للخطيب البغدادى وقال السيوطى: ضعيف.

* عن أنس أن النبى ﷺ قال: «**مَثل أمتى المطر لا يدرى أوله خير أم أخره**»[1].

* يقول الله عز وجل: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾.

يقول ابن كثير: يقول تعالى: إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم لأن الجميع معترفون لكم بالفضل والوسط هاهنا الخيار والأجود[2].

*** يستفاد من ذلك:**

ثبوت الفضل والاصطفاء لهذه الأمة جميعا أولها وأخرها.

*****

الفضيلة التاسعة

حفظ كتاب هذه الأمة

* يقول الله عز وجل: ﴿**بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ**﴾[3].

ويقول الله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[4].

* فوكل الله حفظ الكتب السابقة إلى أصحابها فبدلوها وحرفوها، فعن أبى موسى أن النبى ﷺ: قال «**إن بنى إسرائيل كتبوا كتابًا فاتبعوه وتركوا التوراة**»[5].

* عن جبير بن مطعم أن النبى ﷺ قال: «**أبشروا فإن هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبدا**»[6].

* قال ابن كثير فى تفسير آية الحجر: ثم قرر الله تعالى أنه هو الذى أنزل الذكر وهو القرآن وهو الحافظ له من التغيير والتبديل[7].

(١) سبق تخريجه. (٢) تفسير ابن كثير (١/١٦٧). (٣) المائدة: (٤٤).
(٤) الحجر: (٩). (٥) رواه الطبرانى انظر صحيح الجامع (٢٠٤٤).
(٦) رواه الطبرانى (١/٧٧) وابن أبى شيبة (١٢/١٦٥) وعبد بن حميد فى المنتخب (١/٥٨) انظر السلسلة الصحيحة (٧١٣).
(٧) تفسير ابن كثير (٢/٤٧٣).

* قال ابن مسعود: «إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يزيغ فيستعتب ولا يعود فيقوم ولا تنقضى عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد. اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إنى لا أقول لكم ألم حرف ولكن ألف ولام وميم»[1].

* قال يحيى بن أكثم: كان للمأمون وهو أمير إذ ذلك مجلس نظر، فدخل فى جملة الناس رجل يهودى حسن الثوب حسن الوجه طيب الرائحة فقال فتكلم وأحسن الكلام والعبارة.

فلما انتهى المجلس دعاه المأمون فقال: إسرائيلى؟ فقال نعم. قال: أسلم حتى أفعل بك وأصنع ووعده. فقال: دينى ودين آبائى وانصرف. قال: فلما كان بعد سنة جاء مسلما تكلم على الفقة فأحسن الكلام.

فلما انتهى المجلس دعاه المأمون وقال: ألست صاحبنا بالأمس؟ قال: بلى قال: فما كان سبب إسلامك؟ قال: انصرفت من حضرتك فأحببت أن أمتحن هذه الأديان وأنت ترانى حسن الخط فعمدت إلى التوراة فكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها الكنيسة فاشتُريت منى. وعمدت إلى الإنجيل وكتبت ثلاث نسخ فزدت فيها ونقصت وأدخلتها البيعة فاشتريت منى. وعمت إلى القرآن فعملت ثلاث نسخ وزت فيها ونقصت وأدخلتها الوراقين فتصفحوها فلما وجدوا الزيادة والنقصان رموا بها فلم يشتروها فعلمت أن هذا كتاب محفوظ فكان هذا سبب إسلامى.

قال يحيى بن أكثم: فحججت تلك السنة فلقيت سفيان بن عيينة فذكرت له الخبر فقال لى: مصداق هذا فى كتاب الله قال قلت فى أى موضع؟ قال: فى قوله تعالى فى التوراة والإنجيل: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ فجعل حفظه إليهم

(١) الحاكم (١/ ٥٥٥) وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه بصالح بن عمر وتعقبه الذهبى بقوله: صالح ثقة خرج له مسلم لكن إبراهيم بن مسلم ضعيف.

فضاع وقال عز وجل ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1] فحفظه الله جل وعلا علينا فلم يضع[2].

*** يستفاد من ذلك:**

حفظ الله عز وجل لكتاب هذه الأمة من التحريف والتغيير.

*****

الفضيلة العاشرة

فضلت الأمة بإصابة الفطرة

* عن أنس أن النبى ﷺ قال: «**رفعت إلىَّ سدرة المنتهى منتهاها فى السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل آذان الفيلة فإذا أربعة أنهار.. نهران ظاهران ونهران باطنان فأما الظاهران فالنيل والفرات وأما الباطنان فنهران فى الجنة وأوتيت بثلاثة أقداح قدح فيه لبن وقدح فيه عسل وقدح فيه خمر فأخذت الذى فيه اللبن فشربت فقيل لى أجبت الفطرة أنت وأمتك**»[3].

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون منها من جدعاء**»[4].

*** يستفاد من ذلك:**

أن هذه الأمة على فطرة الله التى فطر الله الناس عليها وذلك ليس لأحد غيرها فإن الأمم السابقة غيرت وبدلت فطرة الله.

---

(١) الحجر: (٩).

(٢) موارد الظمآن (١/ ٤٦٥، ٤٦٦).

(٣) متفق عليه: البخارى فى بدء الخلق (٣٢٠٧) ومسلم فى الإيمان (١٦٢/٣٥٩) واللفظ للبخارى.

(٤) متفق عليه: البخارى فى الجنائز (١٣٥٨) ومسلم فى القدر (٢٦٥٨/٢٢ ـ ٢٤). والجمعاء: سليمة الأعضاء . والجدعاء: المقطوعه الأذن أو غيرها من الأعضاء

الفضيلة الحادية عشر

أمة يبعث الله لها من يجدد دينها

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»(١).

* عن أبى عنبة الخولانى أن النبى ﷺ قال: «**لا يزال الله يغرس فى هذا الدين غرسًا يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة**»(٢).

*** يستفاد من ذلك:**

أن الله تكفل لهذه الأمة بأن ينشئ لها ويبعث فيها من إذا حادت أو غفلت عن دينها أرشدها إليه مرة أخرى وهم العلماء والمتمسكون بالإسلام وهذا من فضل هذه الأمة.

*****

الفضيلة الثانية عشر

أمة هديت إلى يوم الجمعة

* عن أبى مالك الأشعرى أن النبى ﷺ قال: «**اليوم الموعود يوم القيامة والشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة ويوم الجمعة ذكره الله لنا والصلاة الوسطى صلاة العصر**»(٣).

* عن حذيفة وأبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق**»(٤).

---

(١) أبو داود فى الملاحم (٤٢٩١). (٢) ابن ماجة فى المقدمة (٨) وانظر صحيح الجامع (٧٦٩٢).

(٣) الترمذى (٣٣٣٩) بنحوه، والطبرانى: انظر صحيح الجامع رقم (٨٢٠٠).

(٤) مسلم فى الجمعة (٢٢/٨٥٦).

* قال ابن حجر فى الفتح: قال ابن بطال: ليس المراد أن يوم الجمعة فرض عليهم بعينه فتركوه لأنه لا يجوز لأحد أن يترك ما فرض الله عليه وهو مؤمن، وإنما يدل والله أعلم أنه فرض عليهم يوم الجمعة ووكل إلى اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم فاختلفوا فى أى الأيام هو ولم يهتدوا ليوم الجمعة ومال عياض إلى هذا ورشحه بأنه لو كان فرض عليهم بعينه لقيل فخالفوا بدل اختلفوا.

وقال النووى: يمكن أن يكونوا أمروا به صريحًا فاختلفوا هل يلزم تعيينه أو يصوغ إبداله بيوم آخر فاجتهدوا فى ذلك فأخطأوا. ويشهد له ما رواه الطبرى بسند صحيح عن مجاهد فى قوله تعالى: **﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾**[1] أرادوا الجمعة فأخطاؤا وأخذوا السبت مكانه واحتمال أن يراد بالاختلاف اختلاف اليهود والنصارى فى ذلك وقد روى ابن أبى حاتم من طريق أسباط بن نصر عن السدى التصريح بأنه فرض عليهم الجمعة بعينه فأبوا ولفظه «**إن الله فرض على اليهود الجمعة فقالوا يا موسى إن الله لم يخلق يوم السبت شيئاً فاجعله لنا فجعل عليهم**» وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم فى قوله تعالى **﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾**[2] وغير ذلك وكيف لا وهم القائلون **﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾**[3] ثم قال ابن حجر وفيه بيان واضح لمزيد فضل هذه الأمة على الأمم السابقة زادها الله تعالى[4].

*** يستفاد من ذلك:**

أن الله سبحانه وتعالى فضل هذه الأمة بأن هداها إلى أن تتخذ يوم الجمعة عيدًا.

---

(١) النحل: (١٢٤).

(٢) البقرة: (٥٨).

(٣) البقرة: (٩٣).

(٤) فتح البارى (٢/٤١٣ ـ ٤١٥).

الوعد ببلوغ الدين جميع الأماكن وبالنصر والتمكين

* يقول الله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾(١).

* يقول الله عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾(٢). عن ابن عباس قال: أخبر الله فى التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السماوات والأرض أن يورث أمة محمد ﷺ الأرض ويدخلهم الجنة وهم الصالحون.

* يقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾(٣).

* عن تميم الدارى أن النبى ﷺ قال «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر»(٤).

* عن ثوبان أن النبى ﷺ قال: «إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها...»(٥).

* عن أبى أمامة أن النبى ﷺ قال: «إن الله استقبل بى الشام وولى ظهرى اليمن، وقال لى يا محمد جعلت لك ما تجاهك غنيمة ورزقًا وما خلف ظهرك مددا

---

(١) النور: (٥٥).
(٢) الأنبياء: (١٠٥).
(٣) غافر: (٥١).
(٤) أحمد (٤/١٠٣) والحاكم (٤/ ٤٣٠) وقال: صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبى.
(٥) مسلم فى الفتن وأشراط الساعة (١٩/٢٨٨٩).

ولا يزال الإسلام يزيد وينقص الشرك وأهله حتى تسير المرأتان لا يخشيان إلا جورا، والذى نفسى بيده لا تذهب الأيام والليالى حتى يبلغ هذا الدين مبلغ هذا النجم»[١].

* عن أُبَى بن كعب أن النبى ﷺ قال: «**بشر هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والنصر والتمكين فى الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب»**[٢].

* عن أنس أن النبى ﷺ قال: «**رأيت كأنى الليلة فى دار عقبة بن رافع وأوتيت بتمرمن تمر ابن طاب فأولت أن لنا الرفعة فى الدنيا والعاقبة فى الآخرة وأن ديننا قد طاب»**[٣].

*** يستفاد من ذلك:**

أن الله سبحانه وتعالى يربى هذه الأمة على عينه ويصنعها لنفسه ووعدها بالعزة والرفعة والتمكين فى الأرض وببلوغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار.

*****

الفضيلة الرابعة عشر

تسمية الله للمسلمين

* يقول الله عز وجل: ﴿ **هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ** ﴾[٤].

قال مجاهد: الله سماهم المسلمين من قبل فى الكتب المتقدمة.

* عن الحارث الأشعرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال فى حديث طويل «**آمركم بخمس الله أمرنى بهن: السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فإنه من جثى جهنم**» فقال رجل: يا رسول الله وإن صلى وإن صام؟ قال: «**وإن صلى وإن صام فادعوا بدعوى الله الذى سماكم المسلمين**

---

(١) رواه الطبرانى انظرصحيح الجامع (١٧١٦).
(٢، ٣) سبق تخريجهما.
(٤) الحج: (٧٨)

والمؤمنين عباد الله»[1].

* يستفاد من ذلك:

هذه الأمة شرفت وفضلت بأن الذى سماها بهذا الاسم هو الله عز وجل. ويكفى هذا فخرًا لها.

*****

الفضيلة الخامسة عشر

تسليم إبراهيم عليه السلام على الأمة

* عن ابن مسعود أن النبى ﷺ قال: «رأيت إبراهيم ليلة أسرى بى فقال يا محمد أقرئ أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وغراسها لا حول ولا قوة إلا بالله»[2].

*يستفاد من ذلك:

أن هذا التسليم من إبراهيم عليه السلام إلى هذه الأمة يرغبها فيما عند الله من ثواب عظيم، بيان لفضل هذه الأمة وشرفها.

*****

الفضيلة السادسة عشر

أمة مرحومة

* يقول الله عز وجل: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾[3].

يقول ابن كثير: سأجعلها أى الرحمة للمتصفين بهذه الصفات وهم أمة محمد ﷺ.

* عن أبى موسى أن النبى ﷺ قال: «إن الله تعالى إذا أراد رحمة أمة من عباده قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطًا وسلفًا بين يديها، وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حى فأهلكها وهو ينظر فأقر عينه بهلكتها حين كذبوه وعصوا أمره»[4].

---

(١) أحمد (٤/ ١٣٠، ٢٠٢) والترمذى فى الأمثال (٢٨٦٣).

(٢) رواه الطبرانى، انظر صحيح الجامع (٣٤٦٠).

(٣) الأعراف: (١٥٦).

(٤) مسلم فى الفضائل (٢٢٨٨/ ٢٤).

* عن عبد الله بن يزيد أن النبى ﷺ قال : «**إن عذاب هذه الأمة جعل فى دنياها**»[1].

* عن أنس عن النبى ﷺ قال: «**إن هذه الأمة أمة مرحومة عذابها بأيديها فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من المسلمين رجل من المشركين فيقال هذا فداؤك من النار**»[2].

* عن أبى موسى الأشعرى أن النبى ﷺ قال: «**أمتى هذه أمة مرحومة، ليس عليها عذاب فى الآخرة إنما عذابها فى الدنيا؛ الفتن والزلازل والقتل والبلايا**»[3].

* إن هذا الدين ليدرك ضعف هذا المخلوق البشرى الذى تهبط به ثقلة الجسد أحيانًا إلى درك الفاحشة وتهيج به فورة اللحم والدم فينزو نزوة الحيوان فى حمى الشهوة وتدفعه نزواته وشهواته وأطماعه ورغباته إلى المخالفة عن أمر الله فى حمى الاندفاع فلا يبادر إلى طرده من رحمة الله حين يظلم نفسه كمثل طفلك الذى يخطئ ويعرف أن السوط لا سواه فى الدار سيروح أبقًا شاردًا لا يعود إلى الدار أبدًا، فأما إذا كان يعلم أن إلى جانب السوط يدًا حانية تربت على ضعفه حين يعتذر من الذنب وتقبل عذره حين يستغفر من الخطيئة وهكذا جمع الله فى الإسلام بين الفضل والرحمة لهذه الأمة[4].

*** يستفاد من ذلك:**

أن هذه الأمة مرحومة.

*****

الفضيلة السابعة عشر

الأمة أقل عملاً وأعظم أجراً

* عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «**إنما أجلكم فيما خلا من الأمم كما بين صلاة العصر إلى مغارب الشمس وإنما مثلكم ومثل اليهود**

---

(١) رواه الحاكم (١/ ٤٩) وقال صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولا أعلم له علة ووافقه الذهبى، وانظر صحيح الجامع (٢١٠٩).

(٢) ابن ماجة فى الزهد (٤٢٩٢) وانظر السلسلة الصحيحة (١٣٨١).

(٣) أحمد (٤/ ٤١٠، ٤١٨) وأبو داود فى الفتن (٤٢٧٨).

(٤) فى ظلال القرآن (١/ ـ ٤٧٦).

والنصارى كمثل رجل استأجر أجراء فقال: من يعمل من غدوة إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود. ثم قال: من يعمل من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى. ثم قال: من يعمل من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين قيراطين؟ فأنتم هم فغضب اليهود والنصارى وقالوا: ما لنا أكثر عملاً وأقل عطاءاً؟ قال: هل ظلمتكم من حقكم شيئًا؟ قالوا: لا. قال: فذلك فضلى أوتيه من أشاء»(١).

* عن أبى موسى أن النبى ﷺ قال: «مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوما يعملون له عملاً إلى الليل فعملوا إلى نصف النهار. فقالوا: لا حاجة لنا إلى أجرك الذى شرطت لنا و ما عملنا لك فقال لهم: لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً فأبوا وتركوه فاستأجر أجراء بعدهم فقال: اعملوا بقية يومكم ولكم الذى شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا: لك ما عملنا ولك الأجر الذى جعلت لنا فيه فقال: أكملوا بقية عملكم فإنما بقى من النهار شىء يسير فأبوا. فاستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما. فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور»(٢).

* عن أبى بصرة الغفارى أن النبى ﷺ قال: «إن هذه الصلاة يعنى العصر عرضت على من كان قبلكم فضيعوها، فمن حافظ منكم اليوم عليها كان له أجره مرتين ولا صلاة بعدها حتى يطلع الشاهد»(٣).

* عن ابن عمرو أن النبى ﷺ قال: «إن الله زادكم صلاة فحافظوا عليها وهى الوتر»(٤).

* عن أبى الدرداء ومعاذ أن النبى ﷺ قال: «إن الله تعالى تصدق عليكم عند وفاتكم بثلث أموالكم وجعل ذلك زيادة لكم فى أعمالكم»(٥).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البخارى فى الإجارة (٢٢٧١).

(٣) مسلم فى صلاة المسافرين (٨٣٠/ ٢٩٢).

(٤) أحمد (٢/ ١٨٠، ٢٠٦، ٢٠٨) وانظر صحيح الجامع (١٧٧٢).

(٥) ابن ماجة فى الوصايا (٢٧٠٩) وفى الزوائد: فى إسناده طلحة بن عمرو الحضرمى ضعفه غير واحد.

* عن بلال أن النبى ﷺ قال: «**إن الله تطاول عليكم فى جمعكم هذا فوهب مسيئكم لمحسنكم وأعطى محسنكم ما سأل، ادفعوا باسم الله**»[١].

* يقول لله عز وجل ﴿ **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾[٢].

* قال الإمام مالك: بلغنى أن النبى ﷺ رأى أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته ألا يبلغوا من العمل الذى بلغه غيرهم فأعصاه الله ليلة خير من ألف شهر[٣].

*** يستفاد من ذلك:**

ثواب هذه الأمة الذى أعطاه الله لها ولم يعطه لأحد غيرها فضلاً منه ومنة.

*****

الفضيلة الثامنة عشر

أمة قدوة لا تتشبه بغيرها

* عن أبى أمامة أن النبى ﷺ قال: «**انتعلوا وتخففوا وخالفوا أهل الكتاب**»[٤].

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم**»[٥].

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**أعفوا اللحى وجزوا الشوارب وغيروا شيبكم ولا تشبهوا باليهود والنصارى**»[٦].

* عن ابن عمرو أن النبى ﷺ قال: «**إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسوها**» (يعنى المعصفر)[٧].

* عن أبى أمامة أن النبى قال: «**تزوجوا فإنى مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا**

---

(١) ابن ماجة فى المناسك (٣٠٢٤) وفى الزوائد: هذا إسناد ضعيف أبو سلمة مجهول.

(٢) القدر: (٣). (٣) نقلا من تحفة الواعظ.

(٤) رواه البيهقى فى شعب الإيمان انظرصحيح الجامع (١٤٩٣).

(٥) متفق عليه: البخارى فى الأنبياء (٣٤٦٢) وفى اللباس (٥٨٩٩) ومسلم فى اللباس (٢١٠٣/ ٨٠).

(٦) مسلم فى الطهارة (٢٥٩) واحمد (٢/ ٣٦٥، ٣٦٦).

(٧) مسلم فى اللباس (٢٠٧٧/ ٢٧).

كرهبانية النصارى»[1].

* عن سعد أن النبى ﷺ قال: **«طهروا أفنيتكم فإن اليهود لا تطهر أفنيتها»**[2].

* عن أنس أن النبى ﷺ قال: **«كان لكم يومان تلعبون فيهما وقد أبدلكم الله بهما خيراً منهما يوم الفطر ويوم الأضحى»**[3].

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: **«لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم فى طريق فاضطروه إلى أضيقه»**[4].

* عن ابن عمرو أن النبى ﷺ قال: **«ليس منا من تشبه بغيرنا لا تشبهوا باليهود ولا النصارى فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع وتسليم النصارى الإشارة بالأكف»**[5].

* قال ابن كثير فى تفسير قول الله عز وجل: **﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم﴾**: يحتمل أن يكون المراد أنهم يئسوا من مشابهة المسلمين لما تميز به المسلمون من هذه الصفات للشرك وأهله[6].

* وهذا ما ينبغى أن تدركه الأمة المسلمة لتعرف حقيقتها وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة ولتكون لها القيادة بما أنها خير أمة، والله يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر فى هذه الأرض ومن ثم لا ينبغى لها أن تتلقى من غيرها من أمم الجاهلية، إنما ينبغى دائما أن تعطى هذه الأمم مما لديها[7].

*** يستفاد من ذلك:**

أن هذه الأمة قدوة لا ينبغى أن تتشبه بغيرها.

---

(١) البيهقى فى السنن الكبرى (٧/ ٨١) وفى الصغير (٢٤٥٨) والحاكم (٢/ ١٦٢). انظر صحيح الجامع (٢٩٤١).

(٢) الجامع الصغير (٥٢٧٩) وعزاه السيوطى للطبرانى فى الأوسط وقال ضعيف.

(٣) أحمد (٣/ ١٠٣، ١٧٨، ٢٣٥) والنسائى فى العيدين (٣/ ١٧٠، ١٨٠) وانظر صحيح الجامع (٤٤٦٠).

(٤) مسلم فى السلام (٢١٦٧/ ١٣).

(٥) الترمذى فى الاستئذان (٢٦٩٥) وقال الترمذى: هذا حديث إسناده ضعيف.

(٦) تفسير ابن كثير (٢/ ١٤). والآية من سورة المائدة: (٣).

(٧) فى ظلال القرآن (١/ ٤٤٧)..

الفضيلة التاسعة عشر

صلاة الأمة على نبيها تبلغه فى قبره

* عن أبى بكر أن النبى ﷺ قال: «أكثروا الصلاة علىَّ فإن الله وكل بى ملكاً عند قبرى إذا صلى علىَّ رجل من أمتى قال ذلك الملك: يا محمد إن فلان بن فلان صلى عليك الساعة»(١).

* عن أبى مسعود الأنصارى أن النبى ﷺ قال: «أكثروا الصلاة علىَّ فى يوم الجمعة فإنه ليس يصلى علىَّ أحد يوم الجمعة إلا عرضت علىَّ صلاته»(٢).

* عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إن لله تعالى ملائكة ساحين فى الأرض يبلغونى من أمتى السلام»(٣).

* عن عمار بن ياسر أن النبى ﷺ قال: «إن لله تعالى ملكاً أعطاه سمع العباد فليس من أحد يصلى علىَّ إلا أبلغنيها وإنى سألت ربى أن لا يصل علىَّ عبد صلاة إلا صلى عليه عشر أمثالها»(٤).

* عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علىَّ من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علىَّ» قالوا: كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت - أى بليت - قال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»(٥).

* عن الحسن بن على أن النبى ﷺ قال: «حيثما كنتم فصلوا علىَّ فإن صلاتكم تبلغنى»(٦).

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «ما من أحد يسلم علىَّ إلا رد الله علىَّ

---

(١) رواه الديلمى فى مسند الفردوس انظرالسلسلة الصحيحة رقم (١٥٣٠).

(٢) رواه الحاكم (٢/ ٤٢١) والبيهقى فى شعب الإيمان انظر السلسلة الصحيحة (١٥٢٧).

(٣) أحمد (١/ ٣٧١، ٤٤١) والنسائى فى السهو (٣/ ٤٣) والدارمى فى الرقاق (٢٧٧٤) وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢/ ٢٣٤).

(٤) رواه الطبرانى وهو فى صحيح الجامع رقم (٢١٧٦).

(٥) أحمد (٤/ ٨) وأبو داود فى الصلاة (١٠٤٦) والنسائى فى الجمعة (٣/ ٩١) وابن ماجة فى الإقامة (١٠٨٥) وانظر صحيح الجامع (٢٢١٢).

(٦) انظر صحيح الجامع رقم (٣١٦٤).

روحى حتى أرد عليه السلام»[1].

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «لا تجعلوا قبرى عيداً وصلوا علىَّ فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم»[2].

*** يستفاد من ذلك:**

أن صلاة الأمة على النبى ﷺ تصله عن طريق الملك الموكل بتبليغ الصلاة إليه فيرد الله عليه روحه حتى يرد السلام على من صلى عليه ﷺ.

*****

الفضيلة العشرون

يؤيد الله الدين بالرجل الفاجر

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**»[3].

* عن أنس أن النبى ﷺ قال: «**سيشدَّد هذا الدين برجال ليس لهم عند الله خلاق**»[4].

* عن ميمون بن سفيان أن النبى ﷺ قال: «**قوام أمتى بشرارها**»[5].

*** يستفاد من ذلك:**

رحمة الله بهذه الأمة وأنها أمة تعان وتؤيد حتى بأعدائها.

*****

الفضيلة الحادية والعشرين

الأمة لا تجتمع على ضلالة

* عن أنس رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال: «**إن الله تعالى قد أجار أمتى أن تجتمع على ضلالة**»[6].

---

(١) أبو داود فى المناسك (٢٠٤١) وانظر صحح الجامع (٥٦٧٩).
(٢) أبو داود فى المناسك (٢٠٤٢) وانظر صحيح الجامع (٧٢٢٦).
(٣) متفق عليه: البخارى فى الجهاد (٣٠٦٢) وفى المغازى (٤٢٠٣، ٤٢٠٤) وفى القدر (٦٦٠٦) ومسلم فى الإيمان (١١١/١٧٨).   (٤) رواه أبو نعيم فى الحلية، انظر السلسلة الصحيحة (١٦٤٩).
(٥) السيوطى فى الجامع الصغير (٦١٥٨) وانظر صحيح الجامع (٤٤١٣).
(٦) رواه ابن أبى عاصم فى السنة، انظر السلسلة الصحيحة (١٣٣١).

* عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «**إن الله تعالى لا يجمع أمتى على ضلالة ويد الله على الجماعة**»[1].

* عن معاوية أن النبى ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرين على الناس**»[2].

* عن أبى عنبة الخولانى أن النبى ﷺ قال: «**لا يزال الله يغرس فى هذا الدين غرساً يستعملهم فيه بطاعته إلى يوم القيامة**»[3].

*** يستفاد من ذلك:**

أن الله تعالى عصم الأمة أن تجتمع على ضلالة.

*****

الفضيلة الثانية والعشرون

لا تهلك الأمة بسنة عامة

* عن خالد الخزاعى وخباب أن النبى ﷺ قال فى صلاة الكسوف: «**إنها صلاة رغبة ورهبة سألت الله فيها ثلاث خصال فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدة، وسألته ألا يسحتكم بعذاب أصاب من كان قبلكم فأعطانيها، وسألته ألا يسلط على بيضتكم عدواً فيجتاحها فأعطانيها وسألته ألا يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض فمنعيها**»[4].

* عن ثوبان أن النبى ﷺ قال: «**إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتى سيبلغ ما زوى لى منها وإنى أعطيت الكنزين الأحمر والأبيض وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكوا بسنة عامة ولا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربى عز وجل قال: يا محمد إنى إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدواً ممن سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بين**

---

(١) الترمذى فى الفتن (٢١٦٧).

(٢) متفق عليه: البخارى فى المناقب (٣٦٤١) ومسلم فى الإمارة (١٠٣٧/ ١٧٤، ١٧٥).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أحمد (١٢٣/٤) (٢٤٨/٥) والترمذى فى الفتن (٢١٧٥) وابن ماجه فى الفتن عن معاذ بن جبل (٣٩٥١) وفى الزوائد: إسناده صحيح.

أقطارها حتى يكون بعضهم يفنى بعضا وإنما أخاف على أمتى الأئمة المضلين وإذا وضع فى أمتى السيف لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين حتى تعبد قبائل من أمتى الأوثان وإنه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبى وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى ولا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله»[1].

*** يستفاد من ذلك:**

أن هذه الأمة ستبقى إلى قيام الساعة ولن تهلك بسنة عامة.

*****

الفضيلة الثالثة والعشرون

فضلت الأمة بسورة الفاتحة

* عن أبى بن كعب أن النبى ﷺ قال: **«ما أنزل الله فى التوراة ولا فى الإنجيل مثل أم القرآن وهى السبع المثانى وهى مقسومة بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل»**[2].

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: **«والذى نفسى بيده ما أنزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها (يعنى أم القرآن) وإنها لسبع من المثانى والقرآن العظيم الذى أعطيته»**[3].

* عن ابن عباس قال: بينما جبريل عليه السلام قاعد عند النبى ﷺ سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال: **«هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فنزل منه ملك فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك: فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أوتيته»**[4].

*** يستفاد من ذلك:**

فضل سورة الفاتحة وأنها مما فضلت به الأمة على سائر الأمم السابقة ولم ينزل مثلها أبداً.

---

(١) مسلم فى الفتن (٢٨٨٩/١٩) وأبو داود فى الفتن (٤٢٥٢) وأحمد (٥/١٩) واللفظ لأبى داود.

(٢) أحمد (٥/ ١١٤) والترمذى فى التفسير (٣١٢٥).

(٣) الترمذى فى ثواب القرآن (٢٨٧٥) وقال: حسن صحيح.

(٤) مسلم فى صلاة المسافرين (٨٠٦/ ٢٥٤).

الفضيلة الرابعة والعشرون

فضلت الأمة بخواتيم سورة البقرة

* عن حذيفة أن النبى ﷺ قال: «**أعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطها نبى قبلى**»(١).

* عن عقبة بن عامر أن النبى ﷺ قال: «**اقرؤوا هاتين الآيتين اللتين فى آخر سورة البقرة فإن ربى أعطانيهما من تحت العرش**»(٢).

*** يستفاد من ذلك:**

إن الأمة فضلت على الأمم السابقة بخواتيم سورة البقرة وإنها من كنز تحت العرش.

*****

الفضيلة الخامسة والعشرون

فضلت الأمة بالمُفَصل

* عن واسلة أن النبى ﷺ قال: «**أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المئين، وأعطيت مكان الإنجيل المثانى وفضلت بالمُفَصل**»(٣).

*** يستفاد من ذلك:**

أن حزب المُفَصل الذى هو على الراجح من سورة (ق) إلى سورة الناس لم ينزل مثله فى الأمم السابقة وهو من فضائل هذه الأمة.

*****

الفضيلة السادسة والعشرون

فضلت الأمة بأكلة السحر
(طعام السحور عند نية الصيام)

* عن عمرو بن العاص أن النبى ﷺ قال: «**إن فصلاً ما بين صيامنا وصيام**

(١) أحمد (٥/١٥١، ١٨٠) وانظر صحيح الجامع(١٠٦٠).
(٢) أحمد (٤/١٤٧، ١٥٨) وانظر صحيح الجامع (١١٧٢).
(٣) رواه السيوطى فى الجامع الصغير (١١٧١) وعزاه للطبرانى ورواه البيهقى فى شعب الإيمان، وانظر صحيح الجامع (١٠٥٩).

أهل الكتاب أكلة السحر»[1].

يستفاد من ذلك:

أن أكلة السحر من خصائص وفضائل هذه الأمة.

*****

الفضيلة السابعة والعشرون

صلاة العشاء

* عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «**إنكم تنتظرون صلاة ما ينتظرها أهل دين غيركم ولولا أن يثقل على أمتى لصليت بهم هذه الساعة**»[2].

* عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «**اعتموا بهذه الصلاة فإنكم قد فضلتم بها على سائر الأمم ولم تصلها أمة قبلكم**»[3].

* عن عائشة رضى الله عنها قالت: كانوا يصلون العتمة فيما بين أن يغيب الشفق إلى ثلث الليل الأول[4].

* عن ابن عباس يقول: اعتم رسول الله ﷺ ليلة بالعشاء حتى رقد الناس واستيقظوا ورقدوا واستيقظوا فقام عمر بن الخطاب فقال: الصلاة. قال ابن عباس فخرج نبى الله ﷺ كأنى أنظر إليه الآن يقطر رأسه ماء واضعاً يده على رأسه فقال: «**لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم أن يصلوها هكذا**» وذكر ابن حجر فائدة عن ابن عباس وذهب الناس إلا عثمان بن مظعون فى ستة عشر رجلاً فخرج النبى ﷺ فقال: «**ما صلى هذه الصلاة أمة قبلكم**»[5].

*** يستفاد من ذلك:**

أن الله سبحانه وتعالى فضل الأمة بصلاة العشاء.

---

(١) مسلم فى الصيام (١٠٩٦/٤٦).

(٢) مسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (٦٣٩/ ٢٢٠).

(٣) أحمد (٥/ ٢٣٧) وأبو داود فى الصلاة (٤٢١).

(٤) البخارى فى مواقيت الصلاة (٥٧١) ومسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (٦٤٢/ ٢٢٥).

(٥) فتح البارى (٢/ ٦٢).

الفضيلة الثامنة والعشرون

ستر العورة

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**إن موسى كان رجلاً حيياً ستيراً لا يرى من جلده شىء استحياءاً منه فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل فقالوا ما استتر هذا التستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة وإما آفة وإن الله عز وجل أراد أن يبرأه مما قالوا فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبى حجر. ثوبى حجر. حتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه فوالله إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً فذلك قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾**[1].

وفى رواية كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده[2].

* عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «**نهيت أن أمشى عرياناً**». وعنه أيضاً أن النبى ﷺ قال: «**نهيت عن التعرى**»[3].

* عن أم هانئ بنت أبى طالب أنها ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة تستره فقال: من هذه فقلت أنا أم هانئ[4].

* بوب الإمام البخارى باب من اغتسل عرياناً وحده فى الخلوة ومن تستر فالتستر أفضل[5].

* وقال ابن حجر فى حديث بنى إسرائيل يغتسلون عراة ظاهرة أن ذلك كان جائز صافى شرعهم وإلا لما أقرهم موسى على ذلك وكان هو عليه السلام يغتسل وحده آخذا بالأفضل، وقيل أنهم عصوه فى ذلك[6].

---

(١) البخارى فى الأنبياء (٣٤٠٤) والآية رقم (٦٩) من سورة الأحزاب.

(٢) البخارى فى الغسل (٢٧٨). (٣) رواه الطبرانى، انظر السلسلة الصحيحة (٢٣٧٨).

(٤) البخارى فى الغسل (٢٨٠). (٥) فتح البارى (١/٤٥٨). (٦) فتح البارى (١/٤٥٨-٤٦١).

* **يستفاد من ذلك:**

أن هذه الأمة فضلت على الأمم السابقة بستر العورة والحياء.

*****

الفضيلة التاسعة والعشرون

تُصَف الأمة كما تُصَف الملائكة عند ربها

* عن حذيفة أن النبى ﷺ قال: «**فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء**»[1].

* **يستفاد من ذلك:**

مدى تشريف هذه الأمة بالتشبه بالملائكة الأطهار الأبرار العابدين لله على الدوام.

*****

الفضيلة الثلاثون

أحل الله للأمة القتال بمكة ساعة من نهار ثم حرمها

* عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «**إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى وإنما أحلت لى ساعة من نهار ولا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها إلا لمعرف**» قال العباس: يا رسول الله إلا الإذخر لصاغتنا وقبورنا فقال: «**إلا الإذخر**»[2].

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسول الله والمؤمنين ألا فإنها لم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى ألا وإنها حلت لى ساعة من نهار ألا وإنها ساعتى هذه حرام لا يختلى شوكها ولا يعضد**

(١) مسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (٥٢٢/٤).

(٢) البخارى فى الجنائز (١٣٤٩) وفى جزاء الصيد (١٨٣٣) ومسلم فى الحج (١٣٥٣/٤٤٥) واللفظ للبخارى.

شجرها ولا يتلقط ساقطتها إلا لمنشد ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين: إما أن يعقل وإما أن يقاد أهل القتيل»[(١)].

* عن أبى شريح أن النبى ﷺ قال: «إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجرة، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما أذن له ساعة من نهار ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب»[(٢)].

* يستفاد من ذلك:

أن الله عز وجل أحل مكة لنبيه ﷺ ولأمته ساعة من نهار ثم حرمها وهى لم تحل لأحد قبل النبى ﷺ وأمته.

*****

الفضيلة الحادية والثلاثون

الأمة ليس لها مثل السوء

* يقول الله عز وجل: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(٣)].

* يقول الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[(٤)].

* يقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ

(١) البخارى فى العلم (١١٢) ومسلم فى الحج (١٣٥٥/٤٤٧، ٤٤٨).
(٢) البخارى فى العلم (١٠٤) وفى جزاء الصيد (١٨٣٢) ومسلم فى الحج (١٣٥٤/٤٤٦).
(٣) الأعراف: (١٧٥، ١٧٦).
(٤) الجمعة: (٥).

قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

* يقول الله عز وجل: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[2].

* عن ابن عباس وأبى بكر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «**ليس لنا مثل السوء والعائد فى هبته كالكلب يعود فى قيئه**»[3].

*** يستفاد من ذلك:**

أن الأمة لها المثل الأعلى فى كل شيء وهذا من فضل الله جلا وعلا على أمة الإسلام.

*****

الفضيلة الثانية والثلاثون

معجزة الأمة باقية إلى يوم القيامة

لقد أرسل الله عز وجل رسله إلى أقوامهم بمعجزات مختلفة حتى يؤمن الناس بأن هؤلاء الرسل من عند الله عز وجل، وقد انتهت هذه المعجزات فى زمانها مثل ناقة صالح عليه السلام، وعصا موسى عليه السلام، وإحياء الموتى وشفاء المرضى لعيسى عليه السلام. أما معجزة الأمة فهى القرآن وسيظل هذا القرآن معجز باق ومشاهد إلى يوم القيامة. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[4].

---

(١) البقرة: (٤). (٢) الفتح: (٢٩).
(٣) متفق عليه: البخارى فى الهبة (٢٦٢١، ٢٦٢٢) ومسلم فى الهبات (١٦٢٢). (٤) الحجر: (٩).

* يستفاد من ذلك:

أن معجزات الأمم السابقة انقضت وانقرضت وأن معجزة هذه الأمة التى هى القرآن باقية إلى يوم القيامة.

*****

الفضيلة الثالثة والثلاثون

كل رسول تعجل دعوته وأخر النبى ﷺ دعوته فجعلها شفاعة لأمته

* عن جابر أن النبى ﷺ قال: «**لكل نبى دعوة قد دعا بها فى أمته وخبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة**»(1).

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وإنى خبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة إن شاء الله تعالى لمن مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا**»(2).

* عن عبد الله بن عمرو أن النبى ﷺ تلا قول الله عز وجل فى إبراهيم: ﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾(3).

وقال عيسى عليه السلام: ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾(4).

فرفع يديه فقال: «**اللهم أمتى وبكى فقال الله عز وجل: يا جبريل اذهب إلى محمد وربك أعلم فسله ما يبكيك فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم. فقال الله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوؤك**»(5).

* عن أبى بن كعب أن النبى ﷺ قال: «**يا أُبَى إن ربى تبارك وتعالى أرسل**

---

(1) مسلم فى الإيمان (٢٠١/ ٣٤٥).
(2) مسلم فى الإيمان (١٩٩/٣٣٨).
(3) إبراهيم: (٣٦).
(4) المائدة: (١١٨).
(5) مسلم فى الإيمان (٢٠٢/ ٣٤٦)

إليَّ أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمتي فأرسل إليَّ الثانية أن أقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي فأرسل إليَّ الثالثة أن أقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها فقلت: اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليَّ فيه الخلق كلهم حتى إبراهيم»(١).

*** يستفاد من ذلك:**

مدى شفقة النبي ﷺ على أمته وما حازت به هذه الأمة من الفضل بفضل النبي ﷺ وتأخير دعوته لأمته.

*****

الفضيلة الرابعة والثلاثون

عيسى ابن مريم من أفراد هذه الأمة

* عن جابر أن النبي قال: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعض أمير تكرمة الله لهذه الأمة**»(٢).

* عن أنس أن النبي ﷺ قال: «**من أدرك منكم عيسى ابن مريم فليقرؤه مني السلام**»(٣).

* عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «**منا الذي يصلي عيسى ابن مريم خلفه**»(٤).

* عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**كيف أنتم إذ نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم**»(٥).

*** يستفاد من ذلك:**

أن عيسى ابن مريم من أفراد الأمة.

---

(١) مسلم في صلاة المسافرين (٨٢٠/٢٧٣).

(٢) مسلم في الإيمان (١٥٦/٢٤٧).

(٣) رواه الحاكم (٤/٥٤٥) وقال: إسماعيل بن عباس لا يحتج به ووافقه الذهبي.

(٤) رواه أبو نعيم في كتاب المهدي انظر صحيح الجامع (٥٩٢٠).

(٥) متفق عليه: البخاري في الأنبياء (٣٣٤٩) ومسلم في الإيمان (١١٥/٢٤٤).

الفضيلة الخامسة والثلاثون

دخول الجنة بغير حساب

* عن أبى أمامة أن النبى ﷺ قال: «**وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفا بلا حساب عليهم ولا عذاب، مع كل ألف سبعون ألفا وثلاث حثيات من حثيات ربى**»[1].

* عن أبى بكر أن النبى ﷺ قال: «**أعطيت سبعين ألفا من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم القمر ليلة البدر قلوبهم على قلب رجل واحد فاستزدت ربى عز وجل فزادنى مع كل واحد سبعين ألفا**»[2].

* عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**عرضت على الأمم فرأيت النبى ومعه الرهط والنبى ومعه الرجل والرجلان والنبى وليس معه أحد، إذ رفع لى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى فقيل لى: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**» ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وقال بعضهم: لعلهم الذين ولدوا فى الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً. وذكر أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: «**ما الذى تخوضون فيه؟**» فأخبروه فقال: «**هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**» فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم فقال: «**أنت منهم**» ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم فقال: «**سبقك بها عكاشة**»[3].

*** يستفاد من ذلك:**

أن الله فضل هذه الأمة بدخول هذا العدد الجنة بغير حساب بشفاعة النبى ﷺ وعلامتهم كما أخبر أنهم هم الذين لا يرقون رقاً شركية ولا يسترقون ولا يتشاءمون ولا يكتنوون وعلى ربهم يتوكلون.

---

(١) أحمد (٥/٢٦٨) والترمذى فى صفة القيامة (٢٤٣٧) وقال: حسن غريب.

(٢) رواه أحمد (١/٦) وانظر صحيح الجامع (١٠٥٧).

(٣) متفق عليه: البخارى فى الطب (٥٧٠٥) ومسلم فى الإيمان (٢٢٠/ ٣٧٥).

الفضيلة السادسة والثلاثون

أول من يحاسب يوم القيامة

* عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «**نحن آخر الأمم وأول من يحاسب، يقال أين الأمة الأمية ونبيها فنحن الآخرون الأولون**»[1].

* عن حذيفة وأبو هريرة رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «**أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق**»[2].

*** يستفاد من ذلك:**

أن هذه الأمة أول من يحاسب يوم القيامة.

*****

الفضيلة السابعة والثلاثون

تبعث الأمة غراً محجلين

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**إن أمتى يدعون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء**»[3].

* عن حذيفة أن النبى ﷺ قال: «**إن حوضى لأبعد من أيلة إلى عدن، والذى نفسى بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء، ولهو أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل والذى نفسى بيده إنى لأذود عنه كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه**» قالوا يا رسول الله أو تعرفنا؟ قال: «**نعم تردون على الحوض غراً محجلين من آثار الوضوء ليست لأحد غيركم**»[4].

* عن عبد الله بن بسر أن النبى ﷺ قال: «**أمتى يوم القيامة غر من السجود محجلون من الوضوء**»[5].

---

(١) ابن ماجة فى الزهد (٤٢٩٠) وانظر صحيح الجامع (٦٧٤٩).

(٢) مسلم فى الجمعة (٨٥٦/ ٢٢).

(٣) متفق عليه: البخارى فى الوضوء (١٣٦) ومسلم فى الطهارة (٢٤٦/ ٣٥).

(٤) مسلم فى الطهارة (٢٤٨/ ٣٨).

(٥) الترمذى فى أبواب الصلاة (٦٠٧) وقال: حسن صحيح، وانظر صحيح الجامع رقم (١٣٩٧).

* **يستفاد من ذلك:**

أن هذه الأمة من خصائصها أنها تبعث يوم القيامة غراً محجلين وتلك علامتهم يعرفون بها يوم القيامة وهذا أيضاً ليس لأحد غير هذه الأمة.

*****

الفضيلة الثامنة والثلاثون

ثبوت الجنة لأول الأمة وآخرها

* يقول الله عز وجل: ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ . وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾[1]

ويقول أيضاً ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ . وَثُلَّةٌ مِّنَ الآخِرِينَ﴾[2].

يقول ابن كثير: أن المراد بثلة من الأولين أى من صدر هذه الأمة وقليل من الآخرين أى من هذه الأمة، وقال الحسن فى قوله ﴿**والسابقون السابقون أولئك المقربون**﴾[3]فقال: أما السابقون فقد مضوا ولكن اللهم اجعلنا من أصحاب اليمين.

وقال ابن سيرين فى قوله ﴿**ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ . وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ**﴾ قال: كانوا يقولون أو يرجون أن يكونوا كلهم من هذه الأمة فهذه قول الحسن وابن سيرين أن الجميع من هذه الأمة[4].

* عن أنس أن النبى ﷺ قال: «**فى كل قرن من أمتى سابقون**»[5].

* **يستفاد من ذلك:**

ثبوت الجنة لأول الأمة وآخرها. وأن السابقون موجودون فى كل قرن.

*****

الفضيلة التاسعة والثلاثون

تشهد الأمة على الأمم السابقة والأنبياء

* يقول الله عز وجل ﴿ لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾[6] وقد مضى تفسيرها.

* ويقول الله عز وجل ﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ

---

(١) الواقعة (١٣، ١٤). (٢)الواقعة: (٣٩، ٤٠). (٣) الواقعة: (١٠، ١١).

(٤) تفسير ابن كثير(٤/ ٢٥٠).

(٥) رواه الحكيم الترمذى وأبو نعيم فى الحلية انظر صحيح الجامع (٤٢٦٠). (٦) البقرة (١٤٣).

الشَّاهدِينَ ﴾[1] فهذا من دعاء النصارى الذين أسلموا، يقول ابن عباس: فاكتبنا مع الشاهدين أى مع محمد ﷺ وأمته هم الشاهدون يشهدون لنبيهم ﷺ أنه قد بلغ وللرسل أنهم قد بلغوا.

* عن أبى سعيد أن النبى ﷺ قال: «**يجىء النبى يوم القيامة ومعه الرجل والنبى ومعه الرجلان والنبى ومعه الثلاثة وأكثر من ذلك فيقال له هل بلغت قومك فيقول نعم فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم هذا؟ فيقولون: لا. فيقال له من يشهد لك؟ فيقول محمد وأمته. فيدعى محمد وأمته فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم. فيقال وما علمكم بذلك؟ فيقولون جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فصدقناه فذلك قوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾**[2].

* عن أنس أن النبى ﷺ قال: «**من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار. أنتم شهداء الله فى الأرض**»[3].

* عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**الملائكة شهداء الله فى السماء وأنتم شهداء الله فى الأرض**»[4].

*** يستفاد من ذلك:**

أن هذه الأمة عدل تشهد على الأمم السابقة وللأنبياء أنهم قد بلغوا.

*****

الفضيلة الأربعون

يفدى المسلم بالكافر

* عن أبى موسى أن النبى ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة أعطى الله تعالى كل رجل من هذه الأمة رجل من الكفار فيقال له هذا فداؤك من النار**»[5].

* عن أبى موسى الأشعرى أن النبى ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة بعث الله**

---

(١) آل عمران (٥٣).

(٢) البخارى فى الأنبياء (٣٣٣٩) وابن ماجة فى الزهد (٤٢٨٤) واللفظ له. والآية رقم (١٤٣) من سورة البقرة.

(٣) متفق عليه: البخارى فى الجنائز (١٣٦٧) ومسلم فى الجنائز (٩٤٩/ ٦٠).

(٤) النسائى فى الجنائز (٤/ ٥٠) وانظر صحيح الجامع (٦٧٢٨). (٥) مسلم فى التوبة (٢٧٦٧/ ٤٩).

لكل مؤمن ملكاً معه كافر فيقول الملك للمؤمن: يا مؤمن هاك هذا الكافر هذا فداؤك من النار»[1].

* عن أبى موسى أن النبى ﷺ قال: «لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه النار يهودياً أو نصرانياً»[2].

* عن أبى بردة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة أذن لأمة محمد فى السجود فيسجدون له طويلاً ثم يقال: ارفعوا رؤوسكم قد جعلنا لكم فداءكم من النار»[3].

* **يستفاد من ذلك:**

أن المسلم يفدى يوم القيامة بالكافر.

*****

الفضيلة الحادية والأربعون

لا يدخل أحد الجنة قبل المؤمنين وذرياتهم

* عن رفاعة الجهنى أن النبى ﷺ قال: «والذى نفس محمد بيده ما من عبد يؤمن ثم يسدد إلا سلك به فى الجنة وأرجو ألا يدخلها أحد حتى تبوؤا أنتم ومن صلح من ذرياتكم مسالك فى الجنة ولقد وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً بغير حساب»[4].

* **يستفاد من ذلك:**

أن الله فضل هذه الأمة على سائر الأمم فلا يدخل أحد الجنة من الأمم السابقة إلا بعد دخول الأمة وذريتها أولاً، وهذا من خصائصها وفضلها.

*****

الفضيلة الثانية والأربعون

أول الأمم دخولا الجنة

* عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «نحن آخر الأمم وأول من يحاسب، يقال أين الأمة ونبيها فنحن الآخرون الأولون»[5].

---

(١) رواه الطبرانى انظر صحيح الجامع (٧٧٩).
(٢) مسلم فى التوبة (٢٧٦٧/ ٥٠).
(٣) ابن ماجة فى الزهد (٤٢٩١).
(٤) ابن ماجة فى الزهد (٤٢٨٥) وانظر صحيح الجامع (٧٠٦٢).
(٥) سبق تخريجه.

* وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع: اليهود غداً والنصارى بعد غد» وفى رواية لمسلم: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة»(١).

*** يستفاد من ذلك:**

أن الأمة الإسلامية أول دخولاً الجنة.

*****

الفضيلة الثالثة والأربعون

أمة يشفع بعضها لبعض

* عن أبى سعيد الخدرى فى حديث طويل وفيه نعت المرور على الصراط أن النبى ﷺ قال: «حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا فما أنتم بأشد لى منا شدة فى الحق قد تبين لكم من المؤمنين يومئذ للجبار إذا رأوا أنهم قد نجوا فى إخوانهم يقولون ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ويحرم الله تعالى صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غار فى النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقول اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه فيخرجون من عرفوا ثم يعودون فيقول اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه فيخرجون من عرفوا». فقال أبو سعيد: فإن لم تصدقونى فاقرؤوا ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾(٢) «فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار بقيت شفاعتى فيقبض قبضة من النار فيخرج أقوامًا قد امتحشوا فيلقون فى نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياه فينبتون فى حافتيه كما تنبت الحبة فى حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة إلى جانب الشجرة فما كان إلى الشمس منها كان أخضر وما كان إلى

(١) متفق عليه: البخارى فى الأنبياء (٣٤٨٦) ومسلم فى الجمعة (٨٥٥) واللفظ لمسلم.
(٢) النساء: (٤٠).

الظل كان أبيض فيخرجون كأنهم اللؤلؤ فيجعل فى رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه»(١).

* عن أبى أمامة أن النبى ﷺ قال: «ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبى مثل الحيين ربيعة ومضر إنما أقول ما أقول»(٢).

* عن عبد الله بن أبى الجدعاء أن النبى ﷺ قال: «ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم»(٣).

* عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه»(٤).

*** يستفاد من ذلك:**

أن أمة الإسلام أمة يسودها الود والمحبة والرحمة فيما بينهما فى الدنيا فكان الجزاء من جنس العمل فى الآخرة فيوهب الله المسيئين للمحسنين رحمة منه سبحانه وتعالى.

*****

الفضيلة الرابعة والأربعون

أكثر الأمم عدداً فى دخول الجنة

* عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «والذى نفس محمد بيده إنى لأرجو أن تكونوا نصف لأهل الجنة وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة وما أنتم فى أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود أو كالشعرة السوداء فى جلد الثور الأحمر»(٥).

* عن بريدة وابن عباس وابن مسعود وأبى موسى أن النبى ﷺ قال: «أهل الجنة عشرون ومائة صنف؛ ثمانون منها من هذه الأمة وأربعون من سائر الأمم»(٦).

(١) البخارى فى التوحيد (٧٤٣٩). (٢) أحمد (٥/٢٥٧) والطبرانى انظر صحيح الجامع (٥٣٦٣).
(٣) أحمد (٣/٤٦٩) وابن ماجة فى الزهد (٤٣١٦) وانظر صحيح الجامع (٥٣٦٤).
(٤) مسلم فى الجنائز (٩٤٨/٥٩).
(٥) متفق عليه: البخارى فى الرقاق (٦٥٢٨) ومسلم فى الإيمان (٢٢١/٣٧٧، ٣٧٨).
(٦) الترمذى فى الجنة (٢٥٤٦) وابن ماجة فى الزهد (٤٢٨٩).

* عن رفاعة الجهنى أن النبى ﷺ قال: «**والذى نفس محمد بيده ما من عبد يؤمن ثم يسدد إلا سلك به فى الجنة وأرجو ألا يدخلها أحد حتى تبوءوا أنتم ومن صلح من ذرياتكم مساكن فى الجنة ولقد وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب**»[1].

* قال ابن حجر: ولكن أخرج أحمد وابن أبى حاتم من حديث أبى هريرة قال: ﴿**ثلة من الأولين وقليل من الآخرين**﴾. شق ذلك على الصحابة فنزلت ﴿**ثلة من الأولين وثلة من الآخرين**﴾. فقال النبى ﷺ «**إنى لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة. بل ثلث أهل الجنة. بل أنتم نصف أهل الجنة. وتقاسمونهم فى النصف الثانى**».

وأخرجه عبد الله بن أحمد فى زيادات المسند والطبرانى من وجه آخر عن أبى هريرة بلفظ «**أنتم ربع أهل الجنة. أنتم ثلث أهل الجنة. أنتم نصف أهل الجنة. أنتم ثلثا أهل الجنة**».

ثم قال بعد ذلك فكأنه ﷺ لما رجا رحمة ربه أن تكون أمته نصف أهل الجنة أعطاه ما ارتجاه وزاده وهو نحو قوله تعالى ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ**﴾[2].

*** يستفاد من ذلك:**

أن الأمة الإسلامية أكثر الأمم عدداً فى الجنة. بل على الراجح أنهم ثلثا أهل الجنة.

*****

الفضيلة الخامسة والأربعون

أرسل إلى الأمة أفضل رسول

وما أخرت ذكر هذه الفضيلة إلا ليكون ختامها مسك

* يقول الله عز وجل: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾[3].

---

(١) ابن ماجة فى الزهد (٤٢٨٥) وفى الزوائد: فى إسناده محمد بن مصعب، قال فيه صالح بن محمد البغدادى ضعيف فى الأوزاعى وعامة أحاديثه عن الأوزاعى مقلوبة.

(٢) فتح البارى (١١/ ٣٩٥). (٣) آل عمران: (١٦٤).

* يقول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[1].

* يقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

* يقول الله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[3].

* يقول الله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾[4].

* وقال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[5].

* وقال الله تعالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[6].

* وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[7].

* ويقول الله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[8].

* ويقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[9].

* يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ. وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ. الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ. وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[10].

* عن البراء بن عازب قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجها وأحسن الناس خلقا»[11] وفى رواية «كان أحسن الناس خلقا»[12].

---

(١) آل عمران: (١٥٩). (٢) التوبة: (١٢٨). (٣) الأنبياء: (١٠٧).
(٤) الفتح: (٢٩). (٥) القلم: (٤). (٦) الحجر: (٧٢).
(٧) الفتح: (١). (٨) التوبة: (٦١). (٩) الكوثر: (١).
(١٠) الشرح: (١ ـ٤). (١١) البخارى فى المناقب (٣٥٤٩). (١٢) مسلم فى الفضائل (٢٣١٠).

* عن سعد بن هشام قال: سألت عائشة أم المؤمنين فقلت: أخبرينى عن خلق رسول الله ﷺ فقالت: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى. فقالت «كان خلقه القرآن»[1].

* عن أبى سعيد قال: «كان النبى ﷺ أشد حياءً من العذراء فى خدرها»[2].

قال الماوردى رحمه الله فى ذكر خصائص الرسول ﷺ وفضائله وشرف أخلاقه وشمائله المؤيدة لنبوته والمبرهنة على عموم رسالته:

فالكمال المعتبر فى البشر يكون من أربعة أوجه: كمال الخَلْقِ وكمال الخُلُقِ وفضائل الأقوال وفضائل الأعمال.

فأما الوجه الأول فى كمال خَلْقه بعد اعتدال صورته فيكون بأربعة أوصاف.

أحدها: السكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم الداعية إلى التقديم والتسليم. وكان أعظم مهيب فى النفوس حتى ارتاعت رسل كسرى من هيبته حين أتوه مع ارتياعهم بصولة الأكاسرة ومكاثرة الملوك الجبابرة.

فكان ﷺ فى نفوسهم أهيب وفى عيونهم أعظم وإن لم يتعاظم بأهبة ولم يتطاول بسطوة، بل كان بالتواضع موصوفاً وبالوطأة أى السهولة معروفاً.

والثانى: فى الطلاقة الموجبة للإخلاص والمحبة والباعثة على المصافاة والمودة. وقد كان صلوات الله عليه محبوباً استحكمت طلاقته فى النفوس حتى لم يقلِّه مصاحب ولم يتباعد عنه مقارب وكان أحب إلى أصحابه من الآباء والأبناء وشرب الماء البارد على الظمأ.

والثالث: حسن القبول الجالب لمايلة القلوب حتى تسرع إلى طاعته وتذعن بموافقته، وقد كان قبول منظره ﷺ مستولياً على القلوب ولذلك استحكمت مصاحبته فى النفوس حتى لم ينفر منه معاند ولا استوحش منه مباعد إلا من ساقه الحسد إلى شقوته وقاده الحرمان إلى مخالفته.

والرابع: ميل النفوس إلى متابعته وانقيادها لموافقته، وثباته على شدائده ومصابرته فما شذ عنه معها من أخلص ولا ند عنه فيها من تصبر.

---

(١) مسلم فى صلاة المسافرين (٧٤٦/١٣٩). (٢) البخارى فى المناقب (٣٥٦٢).

وهذه الأربعة من دواعى السعادة وقوانين الرسالة وقد تكاملت فيه فكمل لما يوازيها واستحق ما يقتضيها.

وأما الوجه الثانى فى كمال أخلاقه فيكون بست خصال:

إحداهن: رجاحة عقله وصحة همه وصدق فراسته وقد دل على وفور ذلك فيه صحة رأيه وصواب تدبيره وحسن تألُفه.

وأنه ما استُغفل فى مكيدة ولا استُعجِز فى شديدة، بل كان يلحظ الأعجاز فى المبادئ فيكشف عيوبها ويحل خطوبها وهذا لا ينتظم إلا بأصدق هم وأوضح جزم.

والخصلة الثانية: ثباته فى الشدائد وهو مطلوب، وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب ونفسه فى اختلاف الأحوال ساكنة لا يخور فى شديدة ولا يستكين لعظيمة، وقد لقى بمكة من قريش ما يُشيب النواصى ويهد الصياصى وهو مع الضعف يصابر صبر المستعلى ويثبت ثبات المستولى.

والخصلة الثالثة: زهده فى الدنيا وإعراضه عنها وقناعته بالبلاغ منها، فلم يمل إلى غضارتها ولم يَلْه لحلاوتها وقد ملك من أقصى الحجاز إلى نهاية العراق ومن أقصى اليمن إلى آخر عمان.

وهو أزهد الناس فيما يُقتنى ويُدخر وأعرضهم عما يستفاد ويُحتكر لم يُخلِّف عَيناً ولا دينار ولا حفر نهراً ولا شيد قصراً ولم يورث ولده وأهله متاعاً ولا مالاً ليصرفهم عن الرغبة فى الدنيا كما صرف نفسه عنها فيكونوا على مثل حاله فى الزهد فيها.

وحقيق بمن كان فى الدنيا بهذه الزهادة حتى اجتذب أصحابه إليها أن لا يتهم بطلبها ويكذب على الله تعالى فى ادعاء الآخرة ويقنع فى العاجل وقد سُلب الآجل بالميسور النَّزر ورضى بالعيش الكَدِر.

والخصلة الرابعة: تواضعه للناس وهم أتباع وخفض جناحه لهم وهو مطاع يمشى فى الأسواق ويجلس على التراب ويمتزج بأصحابه وجلسائه فلا يتميز عنهم إلا بإطراقه وحيائه، فصار بالتواضع متميزاً وبالتذلل متعززاً، ولقد دخل عليه بعض الأعراب فارتاع من هيبته فقال «**خفض عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل**

القديد بمكة» وهذا من شرف أخلاقه وكريم شيمه فهى غريزة فُطر عليها وجبلّة طُبع بها لم تندُر فتُعد ولم تُحصر فتُجد.

والخصلة الخامسة: حلمه ووقاره عن طيش يهزه أو خرق يستفزه، فقد كان أحلم فى الغضب من كل حليم وأسلَم فى الخصام من كل سليم.

وقد منى بجفوة الأعراب فلم يوجد منه نادرة ولم يحفظ عليه بادرة ولا حليم غيره إلا ذو عثرة ولا وقور سواه إلا ذو هفوة فإن الله تعالى عصمه من نزع الهوى وطيش القدرة لهفوة أو عثرة ليكون بأمته رءوفاً وعلى الخلق عطوفاً قد تناولته قريش بكل كبيرة وقصدته بكل جريرة وهو صبور عليهم ومعرض عنهم.

وما تفرد بذلك سفهاؤهم عن حلمائهم ولا أراذلهم دون عظمائهم بل تمالأ عليه الجُلّة والدُون فكلما كانوا عليه من الأمر ألح كان عنهم أعرض وأصفح حتى قهر فعفا وقدر فغفر، (وقال لهم) حين ظفر بهم عام الفتح وقد اجتمعوا إليه ما ظنكم بى؟ قالوا: ابن عم كريم، فإن تعف فذاك الظن بك وإن تنتقم فقد أسأنا. فقال: بل أقول كما قال يوسف لإخوته ﴿**لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين**﴾ (١).

وقال: اللهم قد أذقت أول قريش نكالاً فأذق آخرهم نوالاً.

وأتته هند بنت عتبة وقد بقرت بطن حمزة ولاكت كبده فصفح عنها.

فإن قيل فقد ضرب رقاب بنى قريظة صبرًا فى يوم واحد وهم نحو سبعمائة فأين موضع العفو والصفح؟ قيل: إنما فعل ذلك فى حقوق الله تعالى.

وقد كانت بنو قريظة رضوا بتحكيم سعد بن معاذ عليهم فحكم أن من جرت عليه الموسَى قتل ومن لم تُجر عليه استُرق فقال رسول الله ﷺ: «**هذا حكم الله من فوق سبعة أرقعة**»(٢) فلم يجز أن يعفو عن حق وجب لله تعالى عليهم وإنما يختص عفوه بحق نفسه.

والخصلة السادسة: حفظه للعهد ووفاؤه بالوعد فإنه ما نقص لمحافظ عهداً ولا أخلف لمراقب وعداً يرى الغدر من كبائر الذنوب والإخلاف من مساوئ الشيم

---

(١) يوسف: (٩٢).

(٢) فتح البارى (٧/٤٧٦) وقال ابن حجر: هذا رواية إسحاق من مرسل علقمة بن وقاص.

فيلتزم فيهما الأغلظ ويرتكب فيها الأصعب حفظاً لعهده ووفاءً بوعده حتى يبتدئ معاهدوه بنقضه فيجعل الله تعالى له مخرجاً كفعل اليهود من بنى قريظة وبنى النضير وكفعل قريش بصلح الحديبية فيجعل الله تعالى له فى نكثهم الخيَرة.

فهذه ست خصال تكاملت فى خُلقه. فضله الله تعالى على جميع خَلقه.

***وأما الوجه الثالث فى فضائل أقواله فمعتبر بثمان خصال:**

إحداهن: ما أوتى من الحكمة البالغة وأعطى من العلوم الجمة الباهرة وهو أمى من أمة أمية لم يقرأ كتاباً ولا درس علماً ولا صاحب عالماً ولا معلمًا فأتى بما بهر العقول وأذهل الفطن من إتقان ما أبان وإحكام ما أظهر فلم يعثر فيه بزلل فى قول أو عمل.

وقد شرع من تقدم من حكماء الفلاسفة سننًا حملوا الناس على التدين بها حين علموا أنه (لا صلاح للعالم إلا بدين ينقادون له ويعملون به) فما راق لها أثر وما فاق لها خبر.

والخصلة الثانية: حفظه لما أطلعه الله تعالى عليه من قصص الأنبياء مع الأمم وأخبار العالم فى الزمن الأقدم حتى لم يعزب عنه منها صغير ولا كبير ولا شذ عنه منها قليل ولا كثير.

وهو لا يضبطها بكتاب يدرسه ولا يحفظها بعين تحرسه وما ذاك إلا من ذهن صحيح وصدر فسيح وقلب شريح وهذه الثلاثة آلة ما استودع من الرسالة وحُمّل من أعباء النبوة فجدير أن يكون بها مبعوثاً وعلى القيام بها محثوثًا.

والخصلة الثالثة: إحكامه لما شرع بأظهر دليل وبيانه بأوضح تعليل حتى يخرج منه ما يوجبه معقول ولا دخل فيه ما تدفعه العقول.

ولذلك قال ﷺ: **«أوتيت جوامع الكلم واختصرت لى الحكمة اختصاراً»**[1]. لأنه نبه بالقليل على الكثير فكف الإطالة وكشف عن الجهالة وما تيسر ذلك إلا وهو عليه معان وإليه مقاد.

والخصلة الرابعة: ما أمر به من محاسن الأخلاق ودعا إليه من مستحسن

(١) المطالب العالية (٣٨٧٤) وعزاه لأبى يعلى وفيه عبد الرحمن بن إسحاق ضعيف.

الآداب وحث عليه من صلة الأرحام وندب إليه من التعطف على الضعفاء والأيتام.

ثم ما نهى عنه من التباغض والتحاسد وكف عنه من التقاطع والتباعد لتكون الفضائل فيهم أكثر ومحاسن الأخلاق بينهم أنشر ومستحسن الآداب عليهم أظهر وتكون إلى الخير أسرع ومن الشر أمنع.

فيحقق فيهم قول الله تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾[1] فلزموا أمره واتقوا زواجره فتكامل بهم صلاح دينهم ودنياهم حتى عز بهم الإسلام بعد ضعفه وذل بهم الشرك بعد عزه، فصاروا أئمة أبرارًا وقادة أخيارًا.

والخصلة الخامسة: وضوح جوابه إذا سُئل وظهور حجابه إذا جادل، لا يَحْصُرُهُ عى ولا يقطعه عجز ولا يعارضه خصم فى جدال إلا كان جوابه أوضح وحجابه أرجح.

والخصلة السادسة: أنه محفوظ اللسان من تحريف فى قول واسترسال فى خبر يكون إلى الكذب منسوباً وللصدق مجانبًا فإنه لم يزل مشهودًا بالصدق فى خبره فاشيًا وكثيرًا حتى صار بالصدق مرقوما وبالأمانة مرسومًا.

وكانت قريش بأسرهم تتيقن صدقه قبل الإسلام فجهزوا بتكذيبه فى استدعائهم إليه فمنهم من كذبه حسدًا ومنهم من كذبه عنادًا ومنهم من كذبه استبعادًا أن يكون نبيًا أو رسولاً.

ولو حفظوا عليه كذبة نادرة فى غير الرسالة لجعلوها دليلاً على تكذيبه فى الرسالة ومن لزم الصدق فى صغره كان له فى الكبر ألزم، ومن عصم منه فى حق نفسه كان فى حقوق الله تعالى أعصم وحسبك بهذا دفعاً لجاحد وردًا لمعاند.

والخصلة السابعة: تحرير كلامه فى التوخى به إبان حاجته والاقتصار منه على قدر كفايته فلا يسترسل فيه هذرًا ولا يحجم عنه حصرًا وهو فيما عدا حالتى الحاجة والكفاية أجمل الناس صمتًا وأحسنهم سمتًا. ولذلك حفظ كلامه حتى لم

(١) آل عمران: (١١٠).

يختل وظهر رونقه حتى لم يعتل واستعذبته الأفواه حتى بقى محفوظاً فى القلوب مدونًا فى الكتب فلن يسلم الإكثار من الزلل ولا الهذر من الملل.

والخصلة الثامنة: أنه أفصح الناس لسانًا وأوضحهم بيانًا وأوجزهم كلامًا وأجزلهم ألفاظاً وأصحهم معانى لا يظهر فيه هُجنة التكلف ولا يتخلله فيهقت التعسف. وقد دُون كثير من جوامع كلمه ومن كلامه الذى لا يشاكل فى فصاحته وبلاغته ومع ذلك فلا يأتى عليه إحصاء ولا يبلغه استقصاء. ولو مزج كلامه بغيره لتميز بأسلوبه ولظهر فيه آثار التنافر فلم يلتبس حقه من باطنه ولبان صدقه من كذبه هذا ولم يكن متعاطيًا للبلاغة ولا مخالطاً لأهلها من خطباء أو شعراء أو فصحاء وإنما هو من غرائز طبعه وبداية جبلته وما ذاك إلا لغاية تراد وحادثة تشاد.

*** وأما الوجه الرابع فى فضائل أفعاله فمختبر بثمان خصال:**

إحداها: حسن سيرته وصحة سياسته فى دين نقل به الأمة عن مألوف وصرفهم به عن معروف إلى غير معروف فأذعنت به النفوس طوعًا وانقادت خوفًا وطمعًا وشديد عادةٍ منتزعة إلا لمن كان مع التأييد الإلهى معانًا بحزم صائب وعزم ثاقب.

وحسبك بما استقرت قواعده على الأبد حتى انتقل عن سلف إلى خلف يزداد فيهم حلاوته ويشتد فيهم جدته ويرونه نظامًا لأعصار تنقلب صروفها ويختلف مألوفها أن يكون لمن قام به برهانًا ولمن ارتاب به بيانا.

والخصلة الثانية: أن جمع بين رغبة من استمال ورهبة من أستطاع حتى اجتمع الفريقان على نصرته وقاموا بحقوق دعوته رغبًا فى عاجل ورهبًا من رزائل ونازل لاختلاف الشيم والطباع فى الانقياد الذى لا ينتظم بأحدهما ولا يستديم إلا بهما فلذلك صار الدين بهما مُستقرًا والصلاح بهما مستمرًا.

والخصلة الثالثة: أنه عدل فيما شرعه الدين عن الغلو والتقصير إلى التوسط وخير الأمور أوسطها وليس لما جاوز العدل حظ من رشد ولا نصيب من سداد.

والخصلة الرابعة: أنه لم يمل بأصحابه إلى الدنيا ولا إلى رفضها وأمرهم فيها بالاعتدال وقال: «**خيركم من لم يترك دنياه لآخرته ولا يترك آخرته لدنياه ولكن**

خيركم من أخذ من هذه وهذه»[1].

وهذا صحيح لأن الانقطاع إلى أحدهما اختلال والجمع بينهما اعتدال. وقال ﷺ: «**نعم المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة**».

وإنما كان كذلك لأن منها يتزود لآخرته ويستكثر فيها من طاعته وأنه لا يخلو تاركها من أن يكون محرومًا مضاعًا أو مرحومًا مراعى وهو فى الأول كَلٌّ وفى الثانى مُسْتدل.

والخصلة الخامسة: تصدية لمعالم الدين ونوازل الأحكام التى أوضح للأمة ما كُلفوا من العبادات وبَيَّن لهم ما يحل وما يحرم من مباحات ومحظورات، وفَصَّل لهم ما يجوز ويمتنع من عقود ومناكح ومعاملات.

حتى احتاج أهل الكتاب فى كثير من معاملاتهم ومواريثهم لشرعه، ولم يحتج شرعه إلى شارع غيره، ثم مهد لشرعه أصولاً تدل على الحوادث المغفلة ويستنبط لها الأحكام المعللة فأغنى عن نص بعد ارتفاعه، وعن التباس بعد إغفاله، ثم أمر الشاهد أن يبلغ الغائب ليعلم بإنذاره ويحتج بإظهاره فقال ﷺ: «**بلغوا عنى ولا تكذبوا علىَّ فرب مبلغ أوعى من سامع ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه**»[2].

فأحكم ما شرع من نص أو تنبيه وعم بما أمر من حاضر وبعيد حتى صار لما تحمَّله من الشرع مؤديًا ولما تقلَّده من حقوق الأمة مُوفيًا لئلا يكون فى حقوق الله زلل وذلك فى بُرهة من زمانه لم يستوف تطاول الاستيعاب حتى أوجز وأنجز وماذاك إلا بديعُ مُعجز.

والخصلة السادسة: انتصابه لجهاد الأعداء وقد أحاطوا بجهاته وأحدقوا بجنباته وهو قُطب مهجور وعدد محقور[3] فزاد به من قل وعز به من ذل وصار بإثخانه فى الأعداء محذورًا وبالرعب منه منصورا فجمع بين التصدى لشرع الدين حتى ظهر وانتشر وبين الانتصاب لجهاد العدو حتى قهر وانتصر والجمع بينهما عسير إلا

---

(١) السيوطى فى الجامع الصغير (٤١١٢) وعزاه للخطيب البغدادى وقال السيوطى: صحيح.

(٢) الطبرانى وغيره صحيح الترغيب والترهيب.

(٣) محقور: قليل.

لمن أمده الله بمعونته وأيده بلطفه.

والخصلة السابعة: ما خص به من الشجاعة فى حروبه والنجدة فى مصابرة عدوه فإنه لم يشهد حربًا فى فزاع إلا صَابر حتى انجلت عن ظفر أو دفاع وهو فى موقفه لم يَزِل عنه هربًا ولا حاز فيه رغبًا.

بل ثبت بقلب آمن وجأش ساكن قد ولَّى أصحابه يوم حنين حتى بقى بإزاء جمع كثير وجم غفير فى تسعة من أهل بيته وأصحابه على بغلة مسبوقة إن طُلبت غير مستعدة لهرب ولا طلب وهو ينادى أصحابه ويظهر نفسه ويقول «**إلىَّ عباد الله أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب**»[1] فعادوا أشدادًا وأرسالاً وهوازن تراه وتجحم عنه فما هاب حرب من محاثرة ولا انكفأ عن مصاولة من صابره.

وقد عضده الله تعالى بأنجاد وأنجاد فانحازوا وصبر حتى أمده الله بنصره وما لهذه الشجاعة من عديل، ولقد طرق المدينة فزع فانطلق الناس فتلقوه نحو الصوت فوجدوا رسول الله ﷺ قد سبقهم إليه فتلقوه عائدًا على فرس عرى لأبى طلحة الأنصارى وعليه السيف فجعل يقول «**أيها الناس لم تراعوا لم تراعوا**» ثم قال لأبى طلحة: «**إنا وجدنا بحرًا**»[2] - أى الفرس واسع الجرى - وكان الفرس يبطئ فما سبقه فرس بعد ذلك.

وما ذاك إلا عن ثقة من أن الله تعالى سينصره وأن دينه سيُظْهرَه تحقيقًا لقوله تعالى ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾[3] وتصديقًا لقول رسول الله ﷺ «**زويت لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها**»[4] وكفى بهذا قيامًا بحقه وشاهدًا على صدقه.

والخصلة الثامنة: ما مُنِح من السخاء والجود حتى جاد بكل موجود وآثر بكل مطلوب ومحبوب ومات ودرعه مرهونة عند يهودى على آصع من شعير لطعام أهله.

---

(١) متفق عليه: البخارى فى الجهاد (٢٨٦٤) ومسلم فى الجهاد (١٧٧٦/ ٧٨).
(٢) متفق عليه: البخارى فى الهبة (٢٦٢٧) ومسلم فى الفضائل (٢٣٠٧).
(٣) التوبة: (٣٣) والفتح: (٢٨) والصف: (٩).
(٤) سبق تخريجه.

وقد ملك جزيرة العرب وكان فيها ملوك لهم خزائن وأموال يقتنونها ذخرًا ويتباهون بها فخرًا ويستمتعون بها أشرًا وبطرًا، وقد حاز ملك جميعهم فما اقتنى دينارًا ولا درهمًا لا يأكل إلا الخشن ولا يلبس إلا الخشن.

ويعطى الجزل الخطير ويصل الجم الغفير ويتجرع مرارة الاقلال وكان يقول «**أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن ترك دينًا أو ضياعًا فعلى ومن ترك مالاً فلورثته**»[1] فهل مثل هذا الجود والكرم جود وكرم أم هل لمثل هذا الإعراض والزهادة إعراض وزهد.. هيهات.

هل تدرك منزلة من هذه شذور من فضائله ويسير من محاسنه التى لا يُحصى لها عددًا ولا يُدرك لها أمدًا لم تكْمل فى غيره فيساويه ولا كذب بها ضِدُ يُناويه، ولقد جهد كل منافق ومعاند وكل زنديق وملحد أن يزرى عليه فى قول أو فعل. أو يظفر بهفوة فى جد أو هزل فلم يجد إليه سبيلا وقد جهد جهده وجمع كيده.

فأى فضل أعظم من فضل شاهده الحسدة والأعداء، فلم يجدوا فيه مغْمزًا لثالب أو قادح ولا مطْعنًا لجارح أو فاضح، فهو كما قال الشاعر:

شهد الأنام بفضله حتى العدا والفضل ما شهدت به الأعداء

وقول لآخر:

محاسن أصناف النبيين جمة وما قصبات السبق إلا لأحمد

وبالجملة فآية أخلاقه صلوات الله عليه وسلامه آية كبرى وعلم من أعلام نبوته العظمى، وقد أجملها بعضهم بقوله وآية أخرى لا يعرفها إلا الخاصة ومتى ذكرت الخاصة فالعامة فى ذلك مثل الخاصة.

وهى الأخلاق والأفعال التى لم تجتمع لبشر قط قبله ولا تجتمع لبشر بعده وذلك أنا لم نر ولم نسمع لأحد قط كصبره ولا كحلمه ولا كوفائه ولا كزهده ولا كجوده، ولا كنجدته ولا كصدق لهجته ولا ككرم عشرته ولا كتواضعه ولا كحفظه ولا كصمته إذا صمت ولا كقوله إذا قال ولا كعجيب منشئه، ولا كعفوه ولا كدوام طريقته وقلة امتنانه.

---

(١) البخارى فى الاستقراض (٢٣٩٩) وفى التفسير (٤٧٨١) وفى الفرائض (٦٧٤٥).

ولم تجد شجاعًا قد إلا وقد جال جولة وفرّ فرّة وانحاز مرة. ولا يستطيع منافق ولا زنديق ولا دهرى أن يحدث أنه ﷺ جال جولة قط ولا فر فرة قط ولا حام عن غزوة ولا هاب حربًا من مكاثرة.

وذلك من أعجب ما أتاه الله نبيًا قط من سائر ما جاء به من الآيات ومن ضروب البرهانات إذ أعداؤه جم غفير وجمعهم كثير فخصهم حين حادوا وصابرهم حين عاندوا وكابد من الشدائد ما لم يثبت عليها إلا كُل معصوم ولم يسلم منها إلا منصور إلى أن علت كلمته وظهرت دعوته.

وكل هذه آيات تُنذر بالحق وتلائم الصدق؛ لأن الله لا يهدى كيد الخائنين ولا يصلح عمل المفسدين.

*****

كرامات وفضائل أخر للأمة

* عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: «**رأيت الملائكة تغسل حمزة بن عبدالمطلب وحنظلة بن الراهب**»[1].

* عن أُبَى أن النبى ﷺ قال: «**لما توفى آدم؛ غسَّلته الملائكة بالماء وترا وألحدوا له وقالوا هذه سنة آدم فى ولده**» فلم يعلم فى الخلق أحد غسلتهم الملائكة إلا هؤلاء الثلاثة فكان هذا شرف للأمة[2].

* عن جابر بن عبد الله أن النبى ﷺ قال: «**يا جابر ألا أبشرك بما لقى الله به أباك،.. ما كلم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحًا فقال: يا عبدى تمن علىَّ أعطك. قال: يارب تحيينى فأقتل فيك ثانية. فقال الرب تبارك وتعالى: إنه سبق منى أنهم إليها لا يرجعون. قال: يارب فأبلغ من ورائى**»[3].

* عن جابر أن النبى ﷺ قال: «**اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ**»[4].

* قال سعيد بن جبير فى قول الله عز وجل فى سورة يوسف ﴿**يا أسفا على يوسف**﴾ لم يعط أحد غير هذه الأمة الاسترجاع = إنا لله وإنا إليه راجعون = ألا تسمعون إلى قول يعقوب ﴿**يا أسفا على يوسف**﴾ أى ساكت لا يشكو أمره إلى مخلوق[5].

---

(١) رواه الطبرانى انظر صحيح الجامع (٣٤٦٣).

(٢) رواه الحاكم (٢/ ٥٤٥) وصححه ووافقه الذهبى. وانظر صحيح الجامع (٥٢٠٧).

(٣) الترمذى فى التفسير (٣٠١٠) وقال الترمذى: حسن غريب. وابن ماجة فى المقدمة (١٩)

(٤) البخارى فى مناقب الأنصار (٣٨٠٣) ومسلم فى فضائل الصحابه (٢٤٦٦).

(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٢١) والآية رقم (٨٤) من سورة وسف.

* عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قال: «**إن اليهود ليحسدونكم على السلام والتأمين**»[1].

*** يستفاد من ذلك:**

أن هذه الفضائل التى ذكرت فى هذا الكتاب إلى الآن لم تستطع أن تحصر فضائل هذه الأمة فإن لها فضائل كثيرة جمة.

*****

(١) رواه الخطيب البغدادى (١١/٤٣) وأبو نعيم وابن خزيمة (١/٧٣/٢). انظر السلسلة الصحيحة (٦٩١، ٦٩٢).

الخـــاتمة

* أخى الحبيب....

أرسل طرفك إلى نشأة الأمة وتبين أسباب نهوضها الأول فترى أن ما جمع كلمتها وأنهض همم آحادها ووحد بين أفرادها وصعد بها إلى مكانة تشرف منها على رؤوس الأمم وتسوسهم وهى فى مقامها بدقيق حكمتها إنما هو (دين) قويم الأصول، محكم القواعد، شامل لأنواع الحكم باعث على الألفة، داع إلى المحبة، مُزك للنفوس، مطهر للقلوب من أدران الخسائس منور للعقول بإشراق الحق من مطالع قضاياه كافل لكل ما يحتاج إليه الإنسان من مبانى الاجتماعات البشرية وحافظ وجودها وينادى بمعتقديه إلى جميع فروع المدنية الصحيحة.

انظر إلى التاريخ قبل بعثة الإسلام وما كانت عليه من الهمجية والشتات وإتيان الدنايا والمنكرات حتى إذا جاءها الإسلام وحّدَها وقواها وهذبها ونور عقولها وقوم أخلاقها وسدد أحكامها فسادت على العالم وساست من تولته بالعدل والإنصاف.

أخى الحبيب.. حسبك أن تعلم أن الدين الإسلامى يحتوى على خيرى الدنيا والآخرة ونعيم العاجلة والآجلة. فما من فضيلة إلا حث عليها وما من رزيلة إلا نفّر منها وما مر فى هذا الكتاب من ذكر فضائل الأمة الإسلامية ما هو إلا نذر قليل ولكن حسبك ما قد مر فهذا هو دينك القويم فإذا اعتصمت بحبله المتين وحرصت على العمل بأحكامه والتحلى بآدابه عشت سعيدًا ومت سعيدًا حميدًا.

اللهم إنى أطعتك بنعمتك فى أحب الأشياء إليك.. وهو الإيمان بك.. ولم أعصك برحمتك فى أبغض الأشياء عليك.. وهو الشرك بك.. اللهم فاغفر لى ما بينهما.. اللهم إنى أطعتك بنعمتك والمنة لك..

وعصيتك بعلمك والحجة لك..

فأسألك برضاك الذى سبق غضبك..

وبفقرى إليك وغناك عنى إلا غفرت لى ورحمتى..

اللهم إنك أمرتنى بما لا أقدر عليه إلا بك..

ونهيتنى عما لا أقدر على تركه إلا بعصمتك..

ورغبتنى فيما لا أناله إلا بجودك وكرمك..

فاللهم وفقنى لامتثال أمرك واجتناب زجرك..

وأعطنى ما رغبتنى فيه.. وجنبنى ما حذرتنى منه..

اللهم إن غفرت فخير راحم.. وإن عذبت فغير ظالم..

اللهم لا تعذب لسانًا دل عليك.. ولا قلبا يحبك..

ولا جسدًا سجد لك.. واستعملنى فى طاعتك..

وسخرنى فى مرضاتك..

وتقبل منى خير ما عملت..

وتجاوز عنى قبائح ما فعلت..

واغفر لى ولوالدى ولمن له الحق علىَّ ولمن دعا لى بالمغفرة وللمؤمنين

وأدخلنا برحمتك فى رحمتك..

إنك أنت الغفور الرحيم.

وصل الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

*****

المراجع

١ ـ القرآن العظيم.

٢ ـ تفسير القرآن العظيم. ابن كثير.

٣ ـ تفسير الكريم الرحمن. عبد الرحمن السعدى.

٤ ـ فتح البارى شرح صحيح البخارى. ابن حجر العسقلانى.

٥ ـ صحيح مسلم.

٦ ـ السلسلة الصحيحة. الألبانى.

٧ ـ صحيح الجامع الألبانى.

٨ ـ صحيح الترغيب والترهيب. الألبانى.

٩ ـ مشكاة المصابيح. الخطيب التبريزى ـ تحقيق الألبانى

١٠ ـ صحيح سنن أبى داود. الألبانى

١١ ـ موارد الظمآن. عبد العزيز السلمان.

١٢ ـ حياة الصحابة. الكاندهلوى.

١٣ ـ الصحيح المسند من أسباب النزول. مقبل بن هادى الوادعى

١٤ ـ الأربعين النووية. للإمام النووى.

١٥ ـ هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى. ابن القيم.

١٦ ـ رسالة الإسلام دين كامل. الشنقيطى.

١٧ ـ الرحيق المختوم. المباركفورى

١٨ ـ إرواء الغليل. الألبانى.

١٩ ـ تحفة الواعظ. أحمد فريد.

٢٠ ـ سبل السلام. الصنعانى.

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مطبعة جزيرة الورد
المنصورة ـ نوسا البحر
☎٤٤١١٩١/٠٥٠